الأخلاق الإسلامية وآداب المهنة

استاذ المادة

د. إبراهيم بن عبدالرحمن الجندان

جامعة الملك فيصل

عمادة التعلم الإلكتروني والتعليم عن بعد

vb.ckfu.org/ من اعداد عزف

المحاضرة الأولى

➢ تمهيد: في أخلاق العرب قبل الإسلام.

- ❖ كانت أخلاق العرب قد ساءت وأولعوا بالخمر والقمار، وشاعت فيهم الغارات وقطع الطريق على القوافل، والعصبية والظلم، وسفك الدماء، والأخذ بالثأر، واغتصاب الأموال، وأكل مال اليتامى، والتعامل بالربا.
- ❖ وليس معنى هذا أنهم كانوا كلهم على هذه الأخلاق الذميمة، بل قد كان فيهم كثيرون لا يزنون ولا يشربون الخمر، ولا يسفكون الدماء ولا يظلمون، ويتحرجون من أكل أموال اليتامى، ويتنزهون عن التعامل بالربا، وكانت فيهم سمات وخصال من الخير كثيرة أهلتهم لحمل راية الإسلام ومن تلك الخصال والسمات:
- ❖ الوفاء بالعهد وحبهم للصراحة والوضوح والصدق: كان العهد عندهم ديناً يتمسكون به، ويستهينون في سبيله قتل أولادهم، وتخريب ديارهم، وكانوا يأنفون من الكذب ويعيبونه، وكانوا أهل وفاء، ولهذا كانت الشهادة باللسان كافية للدخول في الإسلام.
- ❖ أنهم أهل مروءة ونجدة: العربي بفطرته ذو مروءة فهو يأبى أن ينتهز ضعف الضعيف، وعجز العاجز كالمرأة، والشيخ، والمريض، وهو ذو شهامة إذا استنجد به أحد أنجده.
- ❖ المضي في العزائم: كانوا إذا عزموا على شيء يرون فيه المجد والافتخار لا يصرفهم عنه صارف، بل كانوا يخاطرون بأنفسهم في سبيله.
- ❖ الشجاعة: كانوا مضرب الأمثال فيها، وقد كان الواحد منهم يقابل الأسد في الصحراء فينازله حتى يقهره، وبعضهم لم يعرف الفرار ولا الهزيمة قط، وقد كان لهذه الفضيلة وزنها حينما جاء الإسلام، وفرض عليهم الجهاد.
- ❖ الكرم: كان الواحد منهم لا يكون عنده إلا فرسه، أو ناقته، فيأتيه الضيف، فيسارع إلى ذبحها، أو نحرها له، وكان بعضهم لا يكتفي بإطعام الإنسان بل كان يطعم الوحش، والطير.
- ❖ العفو عند المقدرة: كان الواحد منهم ينازل خصمه، حتى إذا أمكنه الله منه، عفا عنه وتركه، بل كان يأبى أن يجهز على جريح.
- ❖ حماية الجار وإجارة المستجير: كانوا إذا استجار بالواحد منهم مستجير أجاره، وربما ضحّى بنفسه وولده في سبيل إجارته.
- ❖ القناعة والرضا باليسير: فقد كان الواحد منهم يسير الأيام مكتفياً بتمرات يقيم بها صلبه، ورشفات من ماء يرطب بها كبده، وقلة تكاليف الحياة جعلتهم يكتفون بالقليل.
- ❖ جاء في الرحيق المختوم: " لعل أغلى ما عندهم من هذه الأخلاق وأعظمها نفعاً بعد الوفاء بالعهد هو عزة النفس والمضي في العزائم، إذ لا يمكن قمع الشر والفساد، وإقامة نظام العدل والخير؛ إلا بهذه القوة القاهرة، وبهذا العزم الصميم".

➢ تعريف الأخلاق لغة:

- ❖ الأخلاق لغة: جمع خلق -بضمِّ اللام وسكونها -، اسم لسجية الإنسان وطبيعته التي خلق عليها، وهو مأخوذ من مادة (خ ل ق) التي تدل على تقدير الشيء.

❖ ومما يرادف لفظ (الخُلق) أو يقاربه في المعنى :

أ) الخِيم: وهو السجية والطبيعة.

ب) المـلأ: وهو الخُلُق والعشرة ، يقال: ما أحسن ملأ فلان أي خُلُقه وعشرته.

➢ تعريف الأخلاق اصطلاحاً :

❖ اختلفت عبارات العلماء والباحثين في تعريف الأخلاق، ويرجع ذلك إلى أن بعضهم يرى إطلاق الأخلاق على هيئة في النفس الإنسانية يصدر عنها السلوك، وبعضهم يرى إطلاق الأخلاق على نفس المبادئ والقواعد المنظمة للسلوك الإنساني.

يلاحظ أن أكثر تعريفات المتقدمين ترى أن الأخلاق هيئة في النفس الإنسانية، فلا تطلق الأخلاق على المبادئ والقواعد المنظمة للسلوك الإنساني، ولا على الفعل الصادر من خلق الإنسان كالشجاعة أو السخاء إلا على سبيل المجاز.

❖ من تعريفات المتقدمين تعريف الجرجاني، حيث عرف الأخلاق بأنها:

هيئة للنفس راسخة، تصدر عنها الأفعال بسهولة ويسر، من غير حاجة إلى فكر وروِيَّة، فإن كانت الهيئة بحيث تصدر عنها الأفعال الجميلة عقلًا وشرعًا بسهولة، سميت الهيئة: خلقًا حسنًا، وإن كان الصادر منها الأفعال القبيحة، سميت الهيئة: خلقًا سيئًا.

✓ يستفاد من هذا التعريف ما يأتي:

١. أن الخلق صفة مستمرة لا عارضة، ثابت في الإنسان لا تنفك عنه، فمن أكرم الضيف مرة أو مرتين لا يوصف بالكرم، ومن صارع شخصاً فهزمه لا يوصف بالشجاعة، حتى يعرف ذلك منهما مراراً.

٢. أن الامتثال بالخلق لا يحتاج إلى تكلف أو مجاهدة نفس، فمن تكلف السكوت عند الغضب بجهد لا يوصف بالحلم حتى يكون سكوته بلا تكلف ولا مجاهدة.

❖ وعرفه بعض المعاصرين بأنه: صفة مستقرة في النفس فطرية أو مكتسبة، ذات آثار في السلوك محمودة أو مذمومة.

✓ يستفاد من هذا التعريف ما يأتي:

١. أن الأخلاق منها ما هو فطري ومنها ما هو مكتسب.

٢. أن الأخلاق لها آثار سلوكية، فالسلوك ليس هو الخلق، بل هو أثره وشكله الظاهر.

❖ ومن المعاصرين رأى أن الأخلاق تطلق على نفس المبادئ وقواعد منظمة للسلوك الإنساني، ومن هذه التعاريف: مجموعة المبادئ والقواعد المنظمة للسلوك الإنساني، التي يحددها الوحي، لتنظيم حياة الإنسان، وتحديد علاقته بغيره على نحو يحقق الغاية من وجوده في هذا العالم على أكمل وجه.

✓ يستفاد من هذا التعريف ما يأتي:

١. أن الأخلاق الإسلامية ربانية المصدر، ليست نابعة من تأملات فلسفية أو عبارات نفعية، أو تجارب تربوية، وإنما في أصولها وفروعها مستمدة من كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم.

٢. أن هذه الأخلاق تنظم علاقة الإنسان بخالقه، وبنفسه، وبالآخرين.

❖ **ولا بد أن نذكر أن مفهوم الأخلاق الإسلامية (قول ابن القيم): مرتبط بمفهوم الإيمان، فمن آمن بالله وحده، وعبد الله وحده، وأحبّ الله سبحانه وتعالى حبّا يستولي على مشاعره، يستلزم هذا منه أن يتجه الإنسان المسلم نحو تحقيق رضا الله سبحانه، وهذا الاتجاه يستلزم من الإنسان سموّا عن الأنانية وعن الأهواء، وعن المآرب الدُّنيا، وعندما يعرف الإنسان حقيقة هذه الدنيا يكون سلوكه وعمله خلقاً من الدرجة الأولى، عندها نكون ماضين في طريق بلوغ الكمال الإنساني.**

❖ **يستفاد من هذا :**

١. أن الأخلاق الإسلامية ترتبط بالإيمان ارتباطاً وثيقاً، فمن آمن بالله لا بد وأن يهذب الإيمان نفسه، وأن يقوده لمعالي الأخلاق.

٢. أن الأخلاق في الإسلام ليست جزءاً من الدين بل هي جوهره وروحه. كيف لا ورسولنا صلى الله عليه وسلم يقول: ((إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق)).

✓ **والملاحظ أن الأخلاق في المعنى الاصطلاحي لا تبتعد كثيراً عن المعنى اللغوي، فالعلماء يريدون بالأخلاق تلك الصفات التي تقوم بالنفس على سبيل الرسوخ، ويستحق الموصوف بها المدح أو الذم، حتى تصبح هذه الصفات كالسجية والطبع للإنسان.**

➢ **الفرق بين الأخلاق وبين بعض المصطلحات.**

❖ **أولاً: الفرق بين الأخلاق والقيم.**

بعد أن تعرفنا على المعنى اللغوي والاصطلاحي للأخلاق، لابد من التفريق بين الأخلاق وبين المصطلحات الأخرى التي قد تتداخل معها، فإذا أردنا التفريق بين الأخلاق والقيم، فلا بد أن نعرف أولاً ماهي القيم؟

القيم بالمعنى العام «مستوى أو مقياس أو معيار نحكم بمقتضاه ونقيس به ونحدد على أساسه المرغوب فيه والمرغوب عنه».

❖ **والقيم الإسلامية: مجموعة من المعايير والأحكام النابعة من تصورات أساسية عن الكون والحياة والإنسان والإله، كما صورها الإسلام، وتتكون لدى الفرد والمجتمع من خلال التفاعل مع المواقف والخبرات الحياتية المختلفة، بحيث تمكنه من اختيار أهدافٍ وتوجهاتٍ لحياته تتفق مع إمكانياته، وتتجسد من خلال الاهتمامات أو السلوك العملي بطريقة مباشرة وغير مباشرة.**

❖ **يبدو واضحاً التقارب بين مفهوم الأخلاق والقيم الإسلامية، ولعل مفهوم القيم أوسع دلالة من مفهوم الأخلاق، فالقيم هي فضائل خلقية كما أنها المعيار لسلوك أفراد المجتمع، فجميع المسلمين تقوم أعمالهم في إطار غايات وأهداف الدين الإسلامي الحنيف.**

❖ **ثانياً: الفرق بين الأخلاق والغرائز:**

الغريزة: هي الدافع للإنسان إلى عمل من غير فكر، وهي جزء من الفطرة.

وحتى يتضح المعنى نقول بأن الغريزة: "سلوك موروث أكثر من كونه مكتسبًا يمكن أن نصف الشخص الذي يميل إلى القتال دومًا بأنه ذو غريزة عدوانية، ولكن هذا الشخص لم يُولد ومعه رغبة القتال، ولو أتيحت له بيئة منزلية أو مدرسية مختلفة لما تطوّرت عنده تلك الخاصية."

❖ **إن الصفات المستقرة في النفس ليست كلها من قبيل الأخلاق، بل منها غرائز ودوافع لا صلة لها بالخلق، ولكن الذي يفصل الأخلاق ويميزها:**

١. **أن الغرائز لا توصف بالخير أو الشر، بينما الأخلاق توصف بالخير أو الشر.**

٢. **أن الغرائز لا تستوجب لصاحبها مدحً ولا ذماً، بينما الأخلاق يمدح صاحبها أو يذم حسب الخلق الذي تخّلق به.**

٣. **لا يترتب على إشباع الغرائز ثواب أو عقاب، بينما يثاب من تخلّق بجميل الأخلاق، وقد يعاقب من تخلّق بقبيحها.**

- **ويمكن القول بأن طرق إشباع الغرائز والدوافع هو الجانب المرتبط بالأخلاق، والمدح والذم يكون على تلك الطريقة، وليس على نفس الغرائز، فمَنْ يأكل لدفع الجوع عن نفسه لا يُمدح ولا يُذم على فعل الأكل، وإنما يُمدح أو يُذمُّ على طريقته في الأكل.**

❖ **ثالثاً: الفرق بين الأخلاق والسلوك:**

✓ **السلوك: سيرة الْإِنْسَان ومذهبه واتجاهه يُقَال فلَان حسن السلوك أَو سيء السلوك.**

✓ **وعرف بأنه: مجموعة أفعال الكائن الحيّ استجابة للمؤثِّرات الداخليّة والخارجيّة.**

بناء على ما سبق نقول: بأن الأخلاق صورة النفس الباطنة، والسلوك هو صورتها الظاهرة التي تدل عليها، ونحن نستدل على طبيعة أخلاق المرء بسلوكه الظاهر.

فالسلوك يعتبر للأخلاق كالنتيجة، فمن حسن خلقه صدر منه السلوك الحسن، ومن ساء خلقه صدر منه السلوك السيء.

المحاضرة الثانية

أهمية ومكانة الأخلاق الإسلامية

- **أهمية الأخلاق الإسلامية:**

أولاً: أن الأخلاق هي التي تميز سلوك الإنسان عن سلوك البهائم سواء في تحقيق حاجاته الطبيعية أو في علاقاته مع غيره من الكائنات الأخرى، ولهذا فالأخلاق زينة الإنسان وحليته الجميلة وبقدر ما يتحلى بها الإنسان يضفي على نفسه جمالاً وبهاء وقيمة إنسانية.

قال تعالى: " ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا ".

ثانيا: إن هدف الأخلاق تحقيق السعادة في الحياة الفردية والجماعية، ذلك أن الحياة الأخلاقية هي الحياة البعيدة عن الشرور بجميع أنواعها وصورها، فإذا انتشرت الأخلاق انتشر الخير والأمن والأمان الفردي والجماعي، فتنتشر الثقة المتبادلة والألفة والمحبة بين الناس، وإذا غابت انتشرت الشرور وزادت العداوة والبغضاء، وتناصر الناس من أجل المناصب والمادة والشهوات.

ثالثا: إنها وسيلة مهمة للنهوض بالأمة، ذلك أن سقوط الأمم والحضارات كثيرا ما ترجع اسبابها إلى الانهيار الأخلاقي فيها، والأخلاق الرذيلة تعتبر نذير شؤم لأي أمة من الأمم ومهما وصلت أمة في التقدم المادي والحضاري فليست بشيء إذا هي انحدرت في أخلاقها واصيبت في قيمها.

رابعاً: أن الأخلاق الحسنة من اسباب المودة وإنهاء العداوة، والواقع يشهد بذلك، فكم من أخوة ومحبة كانت بدايتها حسن خلق، وكم من عداوة انتهت لحسن الخُلق، زكم من انشراح صدر وزوال هم كان بسبب حسن الخلق.

عن ابن عمر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " أحب الناس إلى الله أنفعهم وأحب الأعمال إلى الله عز وجل سرور تدخله على مسلم أو تكشف عنه كربة أو تقضي عنه ديناً، أو تطرد عنه جوعاً ولأن أمشي مع أخي المسلم في حاجة أحب إلي من أن أعتكف في المسجد شهراً ومن كف غضبه ستر الله عورته ومن كظم غيظاً ولو شاء أن يمضيه أمضاه ملأ الله قلبه رضى يوم القيامة ومن مشى مع أخيه المسلم في حاجته حتى يثبتها له أثبت الله تعالى قدمه يوم تزل الأقدام وإن سوء الخلق ليفسد العمل كما يفسد الخل العسل".

- **مكانة الأخلاق في الإسلام:**

للأخلاق في الإسلام فضل كبير ومكانة عظيمة وهذا يظهر من وجوه كثيرة منها ما يأتي:

أولا: تعليل الرسالة بتقويم الأخلاق وإشاعة مكارمها والعمل على إصلاح ما أفسدته الجاهلية منها.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق ".

قال ابن عبد البر رحمه الله: وهذا حديث صحيح ويدخل في هذا المعنى الصلاح والخير كله والدين والفضل والمروءة والإحسان والعدل، فبذلك بُعِثَ ليتممه صلى الله عليه وسلم.

ثانيا: تعريف البر بأنه حُسْن الخلق وهذا يدل على أن حسن الخلق جامع لكل أقسام الخير وخصال البر.

فعن النواس بن سمعان الأنصاري رضي الله عنه قال: سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن البر والإثم فقال: " البر حسن الخلق والإثم ما حاك في صدرك وكرهت أن يطلع عليه الناس".

قال العلماء: البر يكون بمعنى الصلة وبمعنى اللطف والمبرة وحسن الصحبة والعشرة وبمعنى الطاعة وهذه الأمور هي مجامع حسن الخلق.

ثالثا: إن كل المؤمنين يحبون رسول الله صلى الله عليه وسلم ويتمنون قربهم منه يوم القيامة وأكثر المسلمين ظفرا بحب رسول الله والقرب منه مجلسا يوم القيامة هم الذين حسنت أخلاقهم حتى صاروا أحسن من غيرهم.

فعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول: " ألا أخبركم بأحبكم إليّ وأقربكم مني مجلساً يوم القيامة ؟" فسكت القوم فأعادها مرتين أو ثلاثاً قال القوم: نعم يا رسول الله، قال: " أحسنكم خُلُقاً".

يقول العلماء في هذا الحديث بيّن الرسول صلى الله عليه وسلم أن خيار المسلمين من حسنت أخلاقهم وكرمت صفاتهم أما من ساءت منهم الأخلاق وقبحت الصفات فأولئك الشرار وإن كانوا يصلون ويصومون ويحجون فإن صلاتهم ليست بصلاة الخاشعين وصيامهم مجاراة وحجّهم رياء ولو كان ذلك منهم بإخلاص لأثمر بلا مراء كرم الأخلاق، فإن الصلاة الحقة تنهى عن الفحشاء والمنكر، والصيام الخالص داعيه الصبر والكرم، والحج المبرور ينمي خلق الصبر وحسن العشرة والمعونة، فبرهان الصدق في العبادات والإخلاص فيها كرم الأخلاق.

رابعا: أن حسن الخلق من أكثر ما يرجّح كفة الحسنات ويثقل به موازين الأعمال يوم الحساب.

فعن أبي الدرداء قال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: " ما من شيء يوضع في الميزان اثقل من حسن الخلق وإن صاحب الخلق ليبلغ به درجة صاحب الصوم والصلاة".

خامسا: أن حسن الخلق أكثر عمل يدخل الناس الجنة.

فقد سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أكثر ما يدخل الناس الجنة فقال:" تقوى الله وحسن الخلق".

قال ابن القيم: " جمع النبي صلى الله عليه وسلم بين تقوى الله وحسن الخلق لأن تقوى الله يصلح ما بين العبد وبين ربه، وحسن الخلق يصلح ما بينه وبين خلقه فتقوى الله توجب له محبة الله وحسن الخلق يدعو الناس إلى محبته".

سادسا: مدح الله تعالى رسوله الكريم صلى الله عليه وسلم بحسن الخلق. فقد جاء في القران الكريم في وصف النبي الكريم قوله تعالى: " وإنك لعلى خلق عظيم".

والله تعالى لا يمدح رسوله إلا بالشيء العظيم مما يدل على عظيم منزلة الأخلاق في الإسلام.

سابعا: إن من أهم عناصر الخيرية المطلقة بين المؤمنين هو تحليهم بالأخلاق الفاضلة والخصال الحميدة.

فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" إن من أخيركم أحسنكم خلقاً ".

ثامنا: أوضح النبي صلى الله عليه وسلم أن الأخلاق تتناسب طردياً مع الإيمان، فكلما زاد معدل الإيمان في القلب سمت الأخلاق والعكس بالعكس.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " أكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم خلقا".

قال ابن القيم رحمه الله: الدين كله خلق فمن زاد عليك في الخلق زاد عليك في الدين.

المحاضرة الثالثة

أقسام الأخلاق ، أمهات الأخلاق

- **أقسام الأخلاق.**

أولًا: باعتبارها فطرية أو مكتسبة:

أ ـ أخلاق فطرية : وهي مكارم جبل عليها الإنسان، فتكون سجية وطبيعية له.

والأخلاق الفطرية قابلة للتنمية والتوجيه والتعديل؛ لأنَّ وجود الأخلاق الفطرية يدل على وجود الاستعداد الفطري لتنميتها بالتدريب والتعليم وتكرر الخبرات، والاستعداد الفطري لتقويمها وتعديلها وتهذيبها.

ومما يدل على الأخلاق الفطرية حديث أشج عبد القيس، الذي قال له النبي صلى الله عليه وسلم: ((إن فيك خَلَّتين يحبهما الله: الحِلم، والأناة))، قال: يا رسول الله، أنا أتخلَّق بهما، أم الله جبَلني عليهما؟ قال: ((بل جبَلك الله عليهما))، قال: الحمد لله الذي جبلني على خَلَّتين يحبهما الله ورسوله.

قال ابن القيم: فدل على أن من الخُلق ما هو طبيعة وجِبِلّة، وما هو مكتسب.

ب ـ أخلاق مُكتَسبة: يمكن تحصيلها بالتعلم والتعود عليها.

كما دلَّ على ذلك حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه :((أن ناسًا من الأنصار سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فأعطاهم، ثم سألوه فأعطاهم، ثم سألوه فأعطاهم، حتى نفد ما عنده، فقال: ما يكون عندي من خير فلن أدخره عنكم، ومن يستعفف يعفه الله، ومن يستغن يغنه الله، ومن يتصبر يصبره الله، وما أعطي أحد عطاء خيرًا وأوسع من الصبر)).

قال ابن القيم: فإن قلت: هل يمكن أن يقع الخُلق كسبيًا أو هو أمر خارج عن الكسب؟ قلت: يمكن أن يقع كسبياً بالتخلق والتكلُّف، حتى يصير له سجيةً وملكة.

ثانياً: تنقسم الأخلاق من حيث علاقتها إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول: الخلق مع الله:

ونقصد به : القواعد والأسس التي تَحكُم علاقة العبد بربه ـ سبحانه وتعالى ـ وما يتفرَّع عنها من آداب وممارسات ظاهرة وباطنة.

إنّ حق الله تعالى على الإنسان هو أعظم الحقوق على الإطلاق، والأدب مع الله هو أوجبُ الواجبات؛ إذْ هو الخالق، وحده لا شريك له، وما عداه مخلوق؛ فلا يستوي حقُّ المخلوق مع حق الخالق بحالٍ.

- **من أصول المعاملة مع الله:**

أ. لزوم طاعته واجتناب معصيته، والحرص على ألا يفقده ربه حيث أمره، وألا يراه حيث نهاه، سواءٌ ذلك في الغيب والشهادة، وفي السر والعَلَن، وفي العسر واليسر.

ب. احترام كتابه وسنة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم، والتأدب معهما، والتسليم لهما، من غير غلوّ ولا تفريط في الفهم والتطبيق.

ج. إجلاله سبحانه، وتنزيهه عن كل نقْص، ووصْفه بما وَصَف به نفسه، وفْق ما جاء به كتابه وسنة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم واعتقاد ذلك اعتقاداً جازماً.

د. إحسان الظن به سبحانه بما هو أهلُهُ عز وجل.

القسم الثاني: الخُلُق مع النَّفْس:

ونعني به : ما يَلتزِم به المسلم في خاصة نفسه من آداب وأخلاق، وما يسوس به نفسه من تهذيب وتزكية وتربية.

❖ **ومن أصول معاملة الإنسان لنفسه:**

أ. إلزام النفس بإخلاص العمل لله تعالى على كل حالٍ.

ب. إلزامها بالخُلُق الحسن والأدب مع الناس وسائر مخلوقات الله عز وجلّ، على أفضل وجه.

ج. البعد عن ظُلْم نفسه بشيءٍ مِن أنواع الظلم، سواءٌ كان ذلك بإتْباعها هواها على خلاف الشرع وحدودِ الاستقامة، أو بمَنْعها من الأخذ بالفُسْحة التي في ديننا.

د. إلزام النفس بالرضا عن الله، والرضا بقَدَرِ الله.

القسم الثالث: الخُلُق مع الخَلْق:

ونعني به : ما يَلتزِم به المسلمُ من أخلاق مع غيره، والأسس والقواعد الأخلاقية التي تَضبِط علاقته بالآخرين.

وهذا القسم يمكن تقسيمه إلى أقسام عدة؛ مِثْل: الخلق مع الأنبياء والرسل، والخلق مع الوالدين، والخلق مع أولي الأرحام، والخلق مع المؤمنين، والخلق مع الكافرين، وغير ذلك .

ومن أصول المعاملة مع الناس:

أ. أنْ تكون علاقته بهم قائمة على أساس علاقته مع الله.

ب. أن يَسُودُ الحُبُّ فيما بينهم وتختفي الكراهية والحِقد.

ج. أن يَسُودُ خُلُق إعطاء الحقوق، ويختفي العقوق ومنْع الحقوق.

د. أن يَسُودُ الإنصاف مِن النفس واتّهامها، ويختفي تَبْرئةُ النفس واتّهام الآخرين.

وإذا استعمَل الإنسان الأدب والمعاملة الحميدة المتعيّنة عليه تُجاه ربه الخالق سبحانه، وتُجاه الناس، وتُجاه نفسه، وتُجاه سائر مخلوقات الله تعالى؛ فإنه يَصير بذلك صاحِبَ أخلاقٍ حميدة.

فإذَنْ ليس بين الإنسان وبين مكارم الأخلاق إلا التعرّف على ما يَلزمه مِن معاملةٍ مع الله، ومع الناس، ومع نفسه، ومع المخلوقات الأخرى، ثم الالتزام والتطبيق.

➢ **أمهات الأخلاق:**

جمع الله له مكارم الأخلاق في قوله تعالى: ((خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين)).

هذه الآية من ثلاث كلمات، تضمنت قواعد الشريعة في المأمورات والمنهيات.

- **فقوله: (خذ العفو) دخل فيه صلة القاطعين، والعفو عن المذنبين، والرفق بالمؤمنين.**
- **ودخل في قوله: (وأمر بالعرف) صلة الأرحام، وتقوى الله في الحلال والحرام، وغض الأبصار، والاستعداد لدار القرار.**
- **وفي قوله (وأعرض عن الجاهلين) الحض على التعلق بالعلم، والإعراض عن أهل الظلم، والتنزه عن منازعة السفهاء، ومساواة الجهلة الأغبياء.**

- **قال جعفر الصادق – رحمه الله-: "أمر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم بمكارم الأخلاق وليس في القرآن آية أجمع لمكارم الأخلاق من هذه الآية".**
- **وقد أرجع العلماء جميع الأخلاق الفاضلة إلى أربعة:**
- **الصبر، والعفة، والشجاعة، والعدل.**

فالصبر: يحمله على الاحتمال وكظم الغيظ، وكف الأذى، والحلم والأناة والرفق، وعدم الطيش والعجلة.

والعفة: تحمله على اجتناب الرذائل والقبائح من القول والفعل، وتحمله على الحياء، وتمنعه من الفحشاء، والبخل والكذب، والغيبة والنميمة.

والشجاعة: تحمله على عزة النفس، وإيثار معالي الأخلاق والشيم، وعلى البذل وكظم الغيظ والحلم.

والعدل: يحمله على اعتدال أخلاقه، وتوسطه فيها بين طرفي الإفراط والتفريط. فيحمله على خلق الشجاعة، الذي هو توسط بين الجبن والتهور. وعلى خلق الحلم، الذي هو توسط بين الغضب والمهانة وسقوط النفس.

- **وأرجع العلماء جميع الأخلاق السافلة، إلى أربعة:**
- **الجهل، والظلم، والشهوة، والغضب.**

فالجهل: يريه الحسن في صورة القبيح، والقبيح في صورة الحسن.

والظلم: يحمله على وضع الشيء في غير موضعه. فيغضب في موضع الرضا، ويرضى في موضع الغضب، ويجهل في موضع الأناة، ويبخل في موضع البذل، ويبذل في موضع البخل.

والشهوة: تحمله على الحرص والشح والبخل، وعدم العفة والجشع، والذل والدناءات كلها .

والغضب: يحمله على الكبر والحقد والحسد، والعدوان والسفه.

المحاضرة الرابعة

خصائص الأخلاق الإسلامية

- **خصائص الأخلاق الإسلامية.**

الخصائص جمع خاصية، وهي: الصفة التي توجد في الشيء ولا توجد في غيره وخصائص الأخلاق في الإسلام تختص بها عن غيرها في القوانين الوضعية والأديان السابقة التي طالتها يد التحريف.

ثم إن الأخلاق الإسلامية تمتاز بجملة من الخصائص العظيمة التي تعكس روح الإسلام وجماله، وإليك بيان جملة من هذه الخصائص:

أولاً: أنها ربانية المصدر:

إن الأخلاق الإسلامية ليست رأيًا بشريًّا، ولا نظامًا وضعيًّا، إنما هي مستمدة من شرع ربِّ العالمين.

واستمدادها من الشريعة الإسلامية يكون بعدة طرق:

أ. من الأخلاق ما أثبته الشرع ابتداءً.

ب. ومنها ما أقره مما قد تعارف عليه الناس.

حتى ما لم ينصَّ عليه الشرع من محاسن الأخلاق، فربانيته في اندراجه تحت أصل شرعي عام: (ما رآه المسلمون حسنًا فهو عند الله حسن).

وتمتاز الأخلاق في الإسلام بخاصية الربانية من وجهين:

أحدهما: ربانية في مصدرها، أي أنها من الله تعالى هو الذي أمر بها وحث عليها ورغب فيها، ونهى عما يخالفها وحذر منه إما في القرآن الكريم أو في سنة النبي صلى الله عليه وسلم.

وهذه الخاصية تنمح الأخلاق ثقة وقبولاً، وتجعلها في موضع الرضا والتسليم ، لخلوها من التناقض والاختلاف والغموض.

وما دامت ربانية المصدر فهي بذلك تخاطب العقل والمنطق، وهي كذلك ملائمة للفطرة السليمة.

ثانيهما: ربانية الغاية والقصد: مهما تخلَّق إنسان بالأخلاق الإسلامية، فإنها ستبقى صورة بلا روح، طالما لم يُرِد بها صاحبُها وجه الله ورضاه، فليس الغرضُ من الأخلاق الإسلامية وجودَ صورتها الخارجية، وإنما تهدف إلى أن تملك على المسلم قلبه، فيدفعه إليها إيمانه، ويزيده الالتزام بها إيمانًا.

ويبين ربانية الغاية والمقصد قوله تعالى: ((ويطعمون الطعام على حبه مسكيناً ويتيماً وأسيراً)).

وهم في حال يحبون فيها المال والطعام، لكنهم قدموا محبة الله على محبة نفوسهم، ويتحرون في إطعامهم أولى الناس وأحوجهم {مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا} .

ويقصدون بإنفاقهم وإطعامهم وجه الله تعالى، ويقولون بلسان الحال: ((إنما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاءً ولا شكوراً)).

أي: لا جزاء مالياً ولا ثناء قولياً.

ثانياً: أنها أخلاق شاملة:

معنى شمولية الأخلاق في الإسلام: أنها ما تركت خلقاً فاضلاً إلا ودعت إليه، ولا خلقاً مذموماً إلا ونهت عنه، مستوعبة في ذلك الزمان والمكان.

فلا يقال: إنها تصلح لزمن ولا تصلح لآخر، ولا أنها تصلح لبيئة دون أخرى.

إن الأخلاق الإسلامية تتنوع فتشمل أخلاق الإنسان الخاصة مع نفسه أو المتعلقة بغيره، سواء كان فردا أو جماعة أو دولة، وسواء كان مسلماً أو كافراً، وسواء كان ذلك في المجال الاجتماعي أو الاقتصادي أو السياسي، ونوضح ذلك ببعض الأمثلة:

١. من الأخلاق ما يتعلق بالأسرة:

أ. في العلاقة بين الزوجين أمر أن تكون بالمعروف والرفق والإحسان، قال تعالى: ((وعاشروهن بالمعروف)).

ب. في العلاقة مع الأولاد يأمر الإسلام بالعدل بينهم في المعاملة والعطية، يقول صلى الله عليه وسلم: ((اتقوا الله واعدلوا بين أولادكم)).

ج. في العلاقة بين الأرحام أمر بصلة الرحم، قال تعالى: ((فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم)).

وعن أبي بكرة رضي الله عنه قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما من ذنب أحرى أن يعجل الله تعالى عقوبته في الدنيا مع ما يدخر لصاحبه في الآخرة من البغي وقطيعة الرحم».

٢. من الأخلاق ما يتعلق بالمجتمع:

أ. حث على أخلاق وآداب زيارة الناس، قال تعالى: ((لا تدخلوا بيوتاً حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها)).

أرشد الله عباده المؤمنين، أن لا يدخلوا بيوتا غير بيوتهم بغير استئذان، فإن في ذلك عدة مفاسد:

منها ما ذكره الرسول صلى الله عليه وسلم، حيث قال " إنما جعل الاستئذان من أجل البصر " فبسبب الإخلال به، يقع البصر على العورات التي داخل البيوت، فإن البيت للإنسان في ستر عورة ما وراءه، بمنزلة الثوب في ستر عورة جسده.

ومنها: أن ذلك يوجب الريبة من الداخل، ويتهم بالشر سرقة أو غيرها، لأن الدخول خفية، يدل على الشر، ومنع الله المؤمنين من دخول غير بيوتهم حَتَّى يَسْتَأْنِسُوا أي: يستأذنوا. سمي الاستئذان استئناسا، لأن به يحصل الاستئناس، وبعدمه تحصل الوحشة.

ب. في مجال الاقتصاد والمعاملات أمر بالقسط والعدل، ومنع من الحيلة والعدوان وأكل أموال الناس بالباطل، قال تعالى: ((ويل للمطففين* الذين إذا اكتالوا على الناس يستوفون* وإذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون)).

وما ذكر في الآية من الكيل والوزن هو مثال، فيقاس عليه كل ما شبهه، فكل من طلب حقه كاملاً ممن هو عليه ومنع الحق الذي عليه فإنه داخل في الآية الكريمة، كمن يطلب حقه من أولاده ويمنعهم حقوقهم، ومن يطلب حقه من زوجته ويمنعها حقوقها.

ج. في مجال السياسة والحكم يأمر بالعدل والأمانة، قال تعالى: {إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤدُّواْ الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُواْ بِالْعَدْلِ إِنَّ اللّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِ إِنَّ اللّهَ كَانَ سَمِيعاً بَصِيراً } .

٣. خُلُق مع غير المسلم، وذلك بأن يتحلى المسلم مع غير المسلم بالعدل والإحسان وحُسْن القول والمعاملة.

من ذلك قوله تعالى: ((لا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ)).

وقول النبي ﷺ: ((ألا من ظَلَمَ مُعَاهِدًا أو انْتَقَصَهُ أو كَلَّفَهُ فَوْقَ طَاقَتِهِ أو أَخَذَ منه شيئا بِغَيْرِ طِيبِ نَفْسٍ فَأَنَا حَجِيجُهُ يوم الْقِيَامَةِ)).

والمعاهَد هو الذي يعيش في كنف المجتمع المسلم مسالماً.

ثالثاً: أنها أخلاق مثالية واقعية:

معنى كونها واقعية: أي أنها عملية وقابلة للتطبيق، ولا يستعصي على أحد الإتيان بها والاستمرار عليها.

ومعنى كونها مثالية: أنها تستجيب لتطلعات مَنْ نفسه أبيةٌ تتوق إلى معالي الأمور، وتسعى للتحلي بالفضائل والقيم، ولا يرضى أن يكون كعامة الناس، ففسح الشارع له في ذلك.

إن الأخلاق الإسلامية تدعو الناس إلى السمو، وتراعي نفسية البشر واحتياجاتهم وقدراتهم على الارتقاء، كما تراعي حقهم في ألا يُعتدَى عليهم، وفي أن يُقتص لهم، فلا تطالبهم بما فوق طاقتهم، عملًا بقوله تعالى: ((فاتقوا الله ما استطعتم)).

من أمثلة الواقعية المثالية:

أ. أن الجائع لايعد خائنًا للأمانة إن سرق ليأكل.

ب. ولا يعتبر الخائف أو المكرَه ناقضًا للصدق إن كذب لينجو - حين لا ينجيه من البطش إلا الكذب -.

ج. كما أن الشريعة الإسلامية أعطت المسلم حق الدفاع عن نفسه ورد الظلم عنه وعن ماله وعرضه، وأن يدفع السيئة بمثلها، ثم تركت مساحة لمن يقوى على تحمل الظلم، محتسباً أجره على الله فقال تعالى: ((وجزاء سيئة سيئة مثلها فمن عفى وأصلح فأجره على الله)).

قال الشوكاني –رحمه الله-: "ذكر- سبحانه- المغفرة عند الغضب في معرض المدح فقال: «وإذا ما غضبوا هم يغفرون» كما ذكر الانتصار على الباغي في معرض المدح- أيضا- لأن التذلل لمن بغى، ليس من صفات من جعل الله له العزة، حيث قال- سبحانه- وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ. فالانتصار عند البغي فضيلة، كما أن العفو عند الغضب فضيلة".

رابعاً: أنها أخلاق وسط:

تأتي الوسطية بمعنى: العدل والخيرية والتوسط بين الإفراط والتفريط.

ومن ذلك قوله عز وجل: ((وكذلك جعلناكم أمة وسطاً)).

وهذه الخاصية أكبر من أن يقدر على تحقيقها العقل البشري، ولهذا لا يخلو منهج أو نظام يصنعه البشر من الإفراط أو التفريط بحسب طبيعة كل إنسان، ولذلك فإن القادر على إعطاء كل شيء في الوجود حقه هو الله الذي خلق كل شيء فقدره تقديراً.

ومن شواهد وسطية الأخلاق ما يأتي:

١. حديث عائشة رضي الله عنها أنَّها قالت :((ما خُيِّر رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أمرين إلَّا أخذ أيسرهما، ما لم يكن إثمًا، فإن كان إثمًا كان أبعد النَّاس منه، وما انتقم رسول الله صلى الله عليه وسلم لنفسه، إلا أن تُنتَهك حُرْمَة الله فينتقم لله بها)).

ففي الحديث تقص علينا عائشة – رضي الله عنها – عظيم خلق الرسول صلى الله عليه وسلم، وتذكر خلقين من أخلاقه العالية، هما اختيار الأسهل الأيسر ما لم يكن محرماً، وعدم الانتقام لنفسه ما لم تغش محارم الله، فينتقم لله.

٢. أن الشريعة الإسلامية أقرت التفاوت الفطري والعملي بين الناس، فليس كل الناس في درجة واحدة من حيث قوة الإيمان، والالتزام بما أمر الله به من أوامر، والانتهاء عما نهى عنه .

فهناك مرتبة الإسلام، ومرتبة الإيمان، ومرتبة الإحسان وهي أعلاهن، كما أشار إلى ذلك حديث جبريل المشهور، ولكل مرتبة أهلها. وهناك الظالم لنفسه، والمقتصد، والسابق بالخيرات، كما أرشد إلى ذلك القرآن الكريم، وإلى هؤلاء يشير قوله تعالى في سورة فاطر: ((ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات بإذن الله)).

فالآية الكريمة تجعل هؤلاء الأصناف الثلاثة -على تفاوت مراتبهم- من الأمة التي اصطفاها الله من عباده، وأورثها الكتاب.

٣. ومن وسطية الأخلاق في القرآن أنها لم تتصور في أهل التقوى أن يكونوا سالمين من كل عيب، بعيدين عن كل ذنب، كأنهم هم ملائكة أطهار، بل قدرت حقيقة الإنسان وطبيعته البشرية، المركبة من الروح والطين، فإذا كانت الروح تعلو به مرة، فإن الطين يهبط به تارة، وفضل المتقين على غيرهم إنما في التوبة والرجوع إلى الله عند ارتكاب الذنوب.

قال تعالى: ((وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ))

ويبين القرآن الكريم مهمة الأخلاق الخطيرة مع الإنسان منذ النشأة الأولى، حين ذكر توبة أبينا آدم، وأنه ثاب إلى خلق رضي من أخلاق الإيمان وهو الاعتذار عن الخطأ، والاعتراف به، والافتقار إلى مولاه فقال هو وزوجه: ((قالا ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين)).

ويقارن القرآن الكريم هذا الخلق بخلق مضاد له وهو الاستكبار والإباء عن أمر الله -عز وجل- الذي أهلك إبليس، وطرده من رحمة الله عن سعتها.

٤. قوله تعالى: ((وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا)).

في الآية نهى الله الإنسان بأن يمسك إمساكاً يصير به مضيقاً على نفسه وعلى أهله، ولا يوسع في الإنفاق توسيعا لا حاجة إليه بحيث يكون به مسرفا، فهو نهي عن جانبي الإفراط والتفريط. ويتحصل من ذلك مشروعية التوسط، وهو العدل الذي ندب الله إليه.

٥. قوله تعالى: ((وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ)).

أي لا تترك حظك من لذات الدنيا التي أباحها الله من المآكل والمشارب والملابس والمساكن والزواج، فإن لربك عليك حقا، ولنفسك عليك حقا، ولأهلك عليك حقا، فأعط كل ذي حق حقه. وهذه هي وسطية الإسلام في الحياة.

ومن المناسب هنا أن أذكر أن التوسط في الأخلاق، لا يعني البينية مطلقاً، أي: الوسط بين خلقين دائماً، فلا وسطية بين الصدق والكذب مثلاً.

المحاضرة الخامسة

وسائل اكتساب الأخلاق

❖ وسائل اكتساب الأخلاق

يزعم البعض أن الأخلاق لا يتصور تغيرها، لأن الخلق كله فطري ومن جنس الخِلقة.

ويمكن الإجابة على هذا التصور بأمور:

أ. أنه لو صح ذلك لبطلت الوصايا والمواعظ والخطب.

ب. أن تغير خلق البهيمة ممكن، وكم من حيوان نقل من الاستيحاش إلى الاستئناس والسياسة والانقياد كالكلب والفرس الجموح، بل حتى الأسد والنمر والصقر والقرد، وكل ذلك تغيير للأخلاق، فأجدر بالإنسان أن تتغير أخلاقه بالتدريب والرياضة.

ثم إنه لا ريب أن أثقل ما على الطبيعة البشرية تغيير الأخلاق التي طبعت عليها النفس، إلا أن ذلك ليس متعذراً ولا مستحيلاً، بل إن هناك أسبابا عديدة، ووسائل متنوعة يستطيع الإنسان من خلالها أن يكتسب حسن الخلق.

ومن ذلك ما يلي:

أولاً: سلامة العقيدة:

إن شأن العقيدة عظيم، وأمرها جلل، فالسلوك- في الغالب- ثمرة لما يحمله الإنسان من فكر، وما يعتقده من معتقد، وما يدين به من دين.

والانحراف في السلوك إنما هو ناتج عن خلل في المعتقد.

وقد جاء الربط في كتاب الله بين الكفر وسوء الخلق؛ فقد أخبر الله - تعالى - عن الكافرين وهم في النار فقال : ((مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ* قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ* وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ* وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ* وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ* حَتَّى أَتَانَا الْيَقِينُ)).

أي: قال المجرمون لأصحاب اليمين: الذي أدى بنا إلى الإلقاء في سقر، أننا في الدنيا لم نقم بأداء الصلاة الواجبة علينا، ولم نعط المسكين ما يستحقه من عطاء، بل بخلنا عليه، وحرمناه حقوقه..

وكنا- أيضا- في الدنيا نخوض في الأقوال السيئة وفي الأفعال الباطلة مع الخائضين فيها، دون أن نتورع عن اجتناب شيء منها. وأصل الخوض: الدخول في الماء، ثم استعير للجدال الباطل، وللأحاديث التي لا خير من ورائها.

ثانياً: التفكر في الآثار المترتبة على حسن الخلق:

إن معرفة ثمرات الأشياء، واستحضار حسن عواقبها، من أكبر الدواعي إلى فعلها، وتمثلها، والسعي إليها.

فكلما تَصَعَّبَت النفس فذكِّرها تلك الآثار، وما تجني بالصبر من جميل الثمار، فإنها حينئذ تلين، وتنقاد طائعة منشرحة، فإن المرء إذا رغب في مكارم الأخلاق، وأدرك أنها من أولى ما اكتسبته النفوس، وأجل غنيمة غنمها الموفقون، سهل عليه نيلها واكتسابها. ويمكنك النظر في آثار أخلاق السلف عليهم في حياتهم وبعد مماتهم.

وانظر كذلك في عواقب سوء الخلق: وذلك بتأمل ما يجلبه سوء الخلق من الأسف الدائم، والهم الملازم، والحسرة والندامة، والبغضة في قلوب الخلق، فذلك يدعو المرء إلى أن يُقْصِرَ عن مساوئ الأخلاق، وينبعث إلى محاسنها.

ثالثاً: الجليس الصالح والبيئة الصالحة:

فالمرء مولع بمحاكاة من حوله، شديدُ التأثر بمن يصاحبه.

ومجالستهم تكسب المرء الصلاح والتقوى، والاستنكاف عنهم تَنَكُّبٌ عن الصراط المستقيم.

قال الله تعالى: ((يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين)).

وقال تعالى: ((وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هوناً وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً)).

وعن أبي موسى، عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: " إنما مثل الجليس الصالح، والجليس السوء، كحامل المسك، ونافخ الكير، فحامل المسك: إما أن يحذيك، وإما أن تبتاع منه، وإما أن تجد منه ريحا طيبة، ونافخ الكير: إما أن يحرق ثيابك، وإما أن تجد ريحا خبيثة".

قال النووي: "فيه تمثيله صلى الله عليه وسلم الجليس الصالح بحامل المسك، والجليس السوء بنافخ الكير، وفيه فضيلة مجالسة الصالحين وأهل الخير والمروءة ومكارم الأخلاق والورع والعلم والأدب، والنهي عن مجالسة أهل الشر وأهل البدع ومن يغتاب الناس أو يكثر فُجْرُه وبطالته ونحو ذلك من الأنواع المذمومة".

و عن أبي سعيد الخدري، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " كان فيمن كان قبلكم رجل قتل تسعة وتسعين نفساً، فسأل عن أعلم أهل الأرض فدل على راهب، فأتاه فقال: إنه قتل تسعة وتسعين نفسا، فهل له من توبة؟ فقال: لا، فقتله، فكمل به مائة، ثم سأل عن أعلم أهل الأرض فدل على رجل عالم، فقال: إنه قتل مائة نفس، فهل له من توبة؟ فقال: نعم، ومن يحول بينه وبين التوبة؟ انطلق إلى أرض كذا وكذا، فإن بها أناسا يعبدون الله فاعبد الله معهم، ولا ترجع إلى أرضك، فإنها أرض سوء، فانطلق حتى إذا نصف الطريق أتاه الموت، فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب، فقالت ملائكة الرحمة: جاء تائبا مقبلا بقلبه إلى الله، وقالت ملائكة العذاب: إنه لم يعمل خيرا قط، فأتاهم ملك في صورة آدمي، فجعلوه بينهم، فقال: قيسوا ما بين الأرضين، فإلى أيتهما كان أدنى فهو له، فقاسوه فوجدوه أدنى إلى الأرض التي أراد، فقبضته ملائكة الرحمة ".

قال النووي: "قال العلماء: في هذا استحباب مفارقة التائب المواضع التي أصاب بها الذنوب، والأخدان المساعدين له على ذلك ومقاطعتهم ما داموا على حالهم، وأن يستبدل بهم صحبة أهل الخير والصلاح والعلماء والمتعبدين الورعين، ومن يقتدى بهم وينتفَع بصحبتهم".

وقال ابن حجر: "التائب ينبغي له مفارقة الأحوال التي اعتادها في زمن المعصية، والتحول منها كلها".

رابعاً: القدوة الحسنة:

قال الله تعالى: ((لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً)).

إن القدوة هي أعظم طرق اكتساب الأخلاق، فلا بد للطفل من قدوة في والديه ومدرسته كي يتشرب الأخلاق الإسلامية ويسير على نهجها، ولا بد للكبار من قدوة في مجتمعهم تطبعهم بطابع الإسلام وأخلاقه، ولا بد للمجتمع من قدوة في قيادته بحيث يتطلع إليها ويسير على منوالها، ولا بد أن تكون قدوة الجميع هي شخصية الرسول صلى الله عليه وسلم.

خامساً: التدريب العملي والممارسة التطبيقية:

ولا بد في بداية الأمر من تكلف ومجاهدة، وقسر النفس على غير ما تهوى؛ فالعلم بالتعلم والحلم بالتحلّم، والصبر بالتصبّر، والاستعفاف بالتعفّف.

قال - صلى الله عليه وسلم -: ((ومن يستعفف يعفّه اللَّه ومن يستغن يُغنه اللَّه، ومن يتصبّر يُصبِّره اللَّه)).

المحاضرة السادسة

الإلزام الخلقي والمسؤولية والجزاء

يرتبط الإلزام الخُلُقي، والمسؤولية الخُلُقية، والجزاء الخُلُقي، ببعضها ارتبط العلة بالمعلول، فيكون الإلزامَ أولاً، فتترتب عليه المسؤوليةُ، فيلزم منهما الجزاءُ. وفيما يأتي تعريفٌ موجزٌ بكلٍ منها:

- **تعريف الإلزام الخلقي، وذكر مصادره والعوامل التي تحمل عليه.**

❖ **تعريف الإلزام الخلقي:**

الإلزام في اللغة: الفرض والإيجاب.

ويمكن تعريفه اصطلاحاً بأنه: تكليفٌ صادرٌ من الشرع بامتثال خُلُقٍ محمودٍ، أو اجتنابِ خُلُقٍ مذموم.

وهذا التكليف أعم من أن يكون جازماً أو غير جازم، وفي جانب الفعل أو الترك.

- **مثال السلوك الخُلُقي المطلوب فعله على سبيل الحتم والإيجاب: بر الوالدين.**
- **ومثال المطلوب فعله ولكن ليس على سبيل الحتم والإيجاب: إماطة الأذى عن الطريق، وهو المندوب.**
- **ومثال المطلوب تركه طلباً جازماً: الكِبْر والحسد، وهو الحرام.**
- **ومثال المطلوب تركه ولكن ليس على سبيل الحتم: أن يشرب الماء في نفس واحدٍ، أو أن يتنفس في الإناء، وهو المكروه.**

❖ **مصادر الإلزام الخلقي:**

- **المصدر الأول: القرآن الكريم : يعتبر القرآن الكريم هو المصدر الأساسي للإلزام الخلقي، إذ أن آياته تنتظم على النحو الآتي:**

*** آيات الاعتقاد وهي تتعلق بما يجب على المكلف أن يعتقده في الله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره.**

*** آيات تتعلق بما يجب على المكلف أن يتحلى به من الفضائل ويتخلى عنه من الرذائل.**

*** آيات تتعلق بما يصدر عن المكلف من أعمال وأقوال وتصرفات وهي على نوعين: العبادات، ويقصد بها تنظيم علاقة الإنسان بربه، والمعاملات ويقصد بها تنظيم علاقات الناس بعضهم ببعض سواء كانت علاقات أفراد أو أمم أو جماعات، وهذه تضم أخلاقاً تتصل بالأسرة، والقضاء ونظام الحكم، ومعاملات الدولة الإسلامية، ومعاملات غير المسلمين، كما تضم أخلاقا تتصل بالنواحي المادية والاقتصادية.**

- **المصدر الثاني: السنة النبوية: ما صدر عن الرسول صلّى الله عليه وسلّم لا يخلو مما يلي:**

- **بيان المنهج الإسلامي، فهذا شرع متبع، وبالتالي يكون خلقاً من أخلاق الإسلام.**
- **ما صدر عنه بمقتضى طبيعته البشرية، أو صدر عنه بمقتضى الخبرة البشرية أو بمقتضى العادات الجارية، فهو ملزم إذا قام على ذلك دليل يدل على أن المقصود من فعله الاقتداء.**
- **ما صدر عنه ودل الدليل على أنه خاص به، فلا يعتبر تشريعاً لعموم المسلمين.**

وعليه: فإن ما يثبت بدليل يقصد به التشريع العام واقتداء المسلمين به فهو من قبيل الإلزام، لأنه قانون يجب اتباعه

ومهما يكن من أمر، فإن السنة زاخرة بالأخلاق، ولا غرو فهي حياة النبي صلّى الله عليه وسلّم، والمجتمع الإسلامي المعاصر له، ولأنها مصدر تشريعي لهذه الحياة كانت بالتوجيه ملازمة للقرآن، وبالتالي فإن اعتبارها مصدر الإلزام الخلقي أمر واجب.

- المصدر الثالث: الإجماع:

إن دور الإجماع هو حسم مشكلة جديدة، ذات طابع أخلاقي أو فقهي، أو عبادي، قال تعالى: ((كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ)).

- قال السعدي –رحمه الله – "يمدح تعالى هذه الأمة ويخبر أنها خير الأمم التي أخرجها الله للناس، وذلك بتكميلهم لأنفسهم بالإيمان المستلزم للقيام بكل ما أمر الله به، وبتكميلهم لغيرهم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر المتضمن دعوة الخلق إلى الله وجهادهم على ذلك وبذل المستطاع في ردهم عن ضلالهم وغيهم وعصيانهم، فبهذا كانوا خير أمة أخرجت للناس».

- العوامل التي تحمل على الالتزام الخلقي:

هناك جملة من العوامل تحمل المرء على الالتزام، وتعينه عليه، وهي تنقسم إلى داخلية وخارجية:

العوامل الداخلية:

ويمكن حصرها في أربعة: الإيمان والعقل والفطرة والضمير.

الإيمان: ونعني به الإيمان بالله وبرسالاته وباليوم الآخر، فإن لها أكبر الأثر على الالتزام بالأخلاق الحميدة.

العقل: وذلك أن الإنسان إذا رأى أن عاقبة فعله ستكون نافعةً ومفيدةً أقْدَمَ عليه، وإذا رأى أنها ستكون ضارةً أو أليمةً أحجمَ عنه.

الفِطْرة: فقد غرس الله سبحانه في الإنسان الفِطْرة، وجعلها تهفو إلى الإيمان والخُلُق الحميد إذا تركت وشأنها، ولم تتدخل الأطراف الخارجية.

الضمير: (أو ما يسمى بالوازع الديني) ويُقصد به ذلك الشعور الخفي الذي يُحِسُّ به المرءُ في أعماق نفسه، يناديه ويدفعه إلى ممارسة فعلٍ أو الكف عنه. وحين يستجيب لندائه يغمره شعور عارم بالراحة واللذة، بعكس ما لو تجاهله، حيث يشعر بالانقباض والألم النفسي.

العوامل الخارجية:

ويمكن حصرها في عاملين رئيسين:

المجتمع: فإن الأمة كلها مطالبة بأن تراقب أفعال أبنائها وتصرفاتهم، وتأخذ على يد الظالم والعابث، وإلا نال جميعهم شؤم المعصية وشرها، كما قال تعالى: ((واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة)).

السلطة الحاكمة: إن أهم واجبات السلطة الحاكمة (ولي الأمر أو من ينوب عنه) هو حملُ الناسِ على الالتزام بحدود الشرع الحنيف أمراً ونهياً، والتحلي بمكارم الأخلاق، والابتعاد عن الرذائل.

➢ تعريف المسؤولية الخلقية، وذكر خصائصها.

❖ تعريف المسؤولية الخلقية:

المسؤولية كلمة حديثة الاستعمال، ليس لها وجود في استعمالات الفقهاء المتقدمين، إنما هي تعبير استعمله بعض الفقهاء المتأخرين.

إن الأخلاق الإسلامية قائمة على التكليف، ويعني هذا أن الأخلاق الإسلامية قائمة على المسؤولية التي تلزم الإنسان بالعمل الخلقي.

يقصد بالمسؤولية: "تحمل الشخص نتيجة التزاماته وقراراته واختياراته العملية من الناحية الإيجابية والسلبية أمام الله" .

❖ شروط المسؤولية الخلقية:

١. الإعلام والبيان:

إن الإنسان يجب أن تصل إليه الدعوة، وذلك حتى تستيقظ الضمائر الغافلة، وهذا لا يتم إلا بإعلام الإنسان بما هو مفروض وواجب عليه فعلاً أو تركاً، بمعنى أن الإنسان لابد أن يكون عالماً بما هو مكلف به.

وقد اقتضت الحكمة الإلهية أن يعلم الإنسان وتعلم الأمم بواجباتها وحقوقها عن طريق الرسل الذين يذكرونهم دائما بالأوامر الشرعية من أجل تحقيق المسئولية والالتزام، وقد وردت الآيات القرآنية دالة على ذلك، فما كان الله ليحاسب إلا بعد الإبلاغ والبيان والإعلام،

وما كان الله ليعذب أهل القرى دون أن يرسل لهم الرسل والأنبياء لدعوتهم إلى التقوى والصلاح وحتى يكونوا شهداء عليهم، قال تعالى: ((وما كنا معذبين حتى نبعث رسولاً)).

قال الشوكاني – رحمه الله- " ذكر أنه لا يعذب عباده إلا بعد الإعذار إليهم بإرسال رسله، وإنزال كتبه، فبين سبحانه أنه لم يتركهم سدى، ولا يؤاخذهم قبل إقامة الحجة عليهم، والظاهر أنه لا يعذبهم لا في الدنيا ولا في الآخرة إلا بعد الإعذار إليهم بإرسال الرسل، وبه قالت طائفة من أهل العلم."

٢. الالتزام الشخصي:

تتسم المسؤولية الخلقية في الإسلام بأنها ذات طابع شخصي فردي خالص، قال الله تعالى: ((مَنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ)).

ففي الآية إخبار عن الواقع يوم القيامة في جزاء الله تعالى وحكمه وعدله، أن النفوس إنما تجازى بأعمالها إن خيراً فخير، وإن شراً فشر، وأنه لا يحمل من خطيئة أحد على أحد.

٣. النية (القصد) :

الإنسان غير مسؤول عن الأعمال اللاإرادية، ولا هو مسؤول عن الفعل الخطأ غير المقصود؛ وذلك لعدم استهدافها الشر أو الخطأ. فالإنسان لا يحاسب على عمل إلا إذا توافر القصد الكامل له، وهذا مصداق قوله سبحانه وتعالى: ((وليس عليكم جناح فيما أخطأتم به ولكن ما تعمدت قلوبكم)).

وهكذا يظهر دور النية في الأخلاق الإسلامية باعتبارها شرطاً ضرورياً، ومصداق هذا قول رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: «إنما الأعمال بالنيات» .

يفيد الحديث أن الأعمال لا قيمة لها إلا بالنية، وأن الأعمال بنياتها، وهذا يؤكد وجود النية كشرط لقيمة الفعل الخلقي .

٤. حرية الاختيار:

أي أن يكون الخلق نابعاً من إرادته، مختاراً فيه؛ وإلا فلو كان مكرهاً لم يتحمل مسؤولية تصرفه؛ لأنه بذلك يكون قد تحول إلى آلة لتنفيذ الفعل، ولا يُنسب الفعل إليه. قال تعالى: ((مَن كَفَرَ بِاللَّهِ مِن بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ)).

فبين أن الإثم مرفوع عن المكره ولو نطق بكلمة الكفر مادام يجد قلبه مطمئناً بالإيمان، وفي الحديث أيضاً يقول النبي ﷺ : ((إِنَّ اللَّهَ وَضَعَ عن أمتي الخطأ والنسيَانَ وما استُكْرِهُوا عليه)).

- تعريف الجزاء الخلقي، وذكر أنواعه.

❖ تعريف الجزاء الخلقي:

تعريفه: هو المكافأة أو الأثر المترتب على الفعل الأخلاقي. سواءٌ أكان هذا الجزاء ظاهراً كالسجن، أم باطناً كتأنيب الضمير. وسواءٌ أكان في الدنيا، أم في الآخرة.

للجزاء الأخلاقي ثلاثة أنواع هي:

١- الجزاء نفسي داخلي. ٢- الجزاء الشرعي. ٣ - الجزاء الإلهي.

وفيما يلي تناول موجز لهذه الأنواع:

- أولاً: الجزاء الأخلاقي المباشر:

يباشر الإنسان عمله طبقاً لقواعد يعرفها ويحس بها، وبعد ذلك تحدث في النفس أصداء معبرة عن الرضا في حالة النجاح، وعن الألم في حالة الفشل.

إن الجزاء النفسي الداخلي يلمسه المسلم من نفسه بالرضا عند الطاعة، والألم عند المعصية، وهو ما يسمى برضا الضمير، أو تأنيبه ووخزه.

وقد أخبر الرسول ﷺ عن ذلك الشعور واعتبره من علامات الإيمان، فقال: ((من سرته حسنته وساءته سيئته فذلك المؤمن)).

- ثانياً: الجزاء الشرعي:

المراد بالجزاء الشرعي: تلك العقوبات التي أقرتها الشريعة الإسلامية لأولئك الذين يتعدون حدود الله، فيظلمون بذلك أنفسهم أولاً، وغيرهم ثانياً.

وبالنظر في نظام المجازاة في التشريع الإسلامي يمكن أن نميز فيه مرتبتين أساسيتين هما:

الحدود: هي الجزاءات التي حددها الشرع بدقة وصرامة. وهي من حقوق الله تعالى، ولا تسقط بالعفو ولا بالصلح.

التعزيرات: وهي عقوبات تأديبية يفرضها القاضي على جناية أو معصية لا حد فيها.

- ثالثاً: الجزاء الإلهي:

قد يكون الجزاء الإلهي معجلاً في الدنيا، ومن أمثلته من كتاب الله: ((وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَداً مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ)).

وقد يمتد أو يؤجل الجزاء الإلهي إلى الآخرة ، قال تعالى: ((أفحسبتم أنما خلقناكم عبثاً وأنكم إلينا لا ترجعون)).

المحاضرة السابعة

صور من أخلاق النبي صلى الله عليه وسلم

تفضل الله تعالى على خليله محمد صلى الله عليه وسلم بتوفيقه للاتصاف بمكارم الأخلاق؛ وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم.

ثم أثنى عليه ونوه بذكر ما يتحلى به من جميل الصفات في آيات كثيرة من كتاب الله العزيز، من ذلك قوله تعالى: ((وإنك لعلى خلق عظيم)).

قد أخبر سبحانه في هذه الآية الكريمة عما كان عليه المصطفى من أخلاق فاضلة ووصف خلقه صلى الله عليه وسلم بأنه عظيم.

وأكد ذلك بثلاثة أشياء:

أ. بالأقسام عليه بالقلم وما يسطرون.

ب. وتصديره بأن.

ج. وإدخال اللام على الخبر.

وكلها من أدوات تأكيد الكلام.

وقد نوه سبحانه بما جبل نبيه عليه صلى الله عليه وسلم من الرحمة والرأفة بالمؤمنين والحرص على ما ينفعهم في دينهم وأخراهم، والتألم من كل ما يشق عليهم بقوله سبحانه ممتنا على المؤمنين بإرساله: ((لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ)).

ولما سئلت عائشة رضي الله عنها عن خلق النبي صلى الله عليه وسلم ، قالت : (كان خلقه القرآن) صحيح مسلم .

قال ابن كثير رحمه الله في تفسيره: ومعنى هذا أنه صلى الله عليه وسلم صار امتثال القرآن أمراً ونهياً سجيةً له وخلقاً ... فمهما أمره القرآن فعله ومهما نهاه عنه تركه، هذا ما جبله الله عليه من الخُلق العظيم من الحياء والكرم والشجاعة والصفح والحلم وكل خُلقٍ جميل. ا.هـ

وفيما يأتي نستعرض جوانب من أخلاق المصطفى صلى الله عليه وسلم، لعلها تكون نبراساً لنا في حياتنا، فنقتدي بها، ونتخلق بمثلها:

- **أولاً: صبر النبي صلى الله عليه وسلم:**

  - **حكم الصبر:**

ينقسم إلى خمسة أقسام:

القسم الأول: صبر واجب: كالصبر على الطاعات، والصبر عن المحرّمات، والصبر على المصائب التي لا صنع للعبد فيها: كالأمراض، والفقر، وفقد الأنفس والأموال وغيرها.

القسم الثاني: صبر مندوب: كالصبر عن المكروهات، والصبر على المستحبات.

القسم الثالث: صبر محرم: كالصبر على المحرّمات: كمن يصبر عن الطعام والشراب حتى يموت أو يصبر على ما يهلكه من سبع أو حية.

القسم الرابع: صبر مكروه: كمن يصبر عن الطعام والشراب حتى يتضرر بذلك بدنه.

القسم الخامس: صبر مباح: وهو الصبر عن كل فعلٍ مستوي الطرفين خُيِّر بين فعله وتركه، كمن يصبر عن الطعام والشراب مدة يسيرة.

❖ أنواع الصبر:

١. الصبر على طاعة الله: الطريق إلى الله تعالى مليئة بالعوائق؛ لأن النفس بطبعها تنفر من القيود، والعبودية لله قيد لشهوات النفس؛ ولذلك فالنفس لا تستقيم على أمر الله بيسر وسهولة، فلابد من ترويضها، وكبح جماحها، وهذا يحتاج إلى اصطبار.

٢. الصبر عن المعاصي والمحرمات: فإن كان مما يتيسر فعله كمعاصي اللسان من الغيبة والكذب والمراء، كان الصبر عليه أثقل.

٣. الصبر على المصائب وأقدار الله المؤلمة: لا أحد يسلم من آلام النفس، وأمراض البدن، وفقدان الأحباء، وخسران المال.

وهذا ما لا يخلو منه بَرٌّ ولا فاجر، ولا مؤمن ولا كافر، ولكن المؤمن يتلقَّى هذه المصائب برضىً وطمأنينة.

ثم إنه للنبي محمد - صلى الله عليه وسلم - مواقف في الدعوة إلى الله تدل على صبره، ورغبته فيما عند الله تعالى، أذكر منها:

أ. اتَّهموا النبيَّ - صلى الله عليه وسلم - بالجنون، والسحر، والكذب والكهانة، والنبي - صلى الله عليه وسلم - ثابت صابر محتسب يرجو من الله النصر لدينه، وإظهاره.

ب. عن سهل بن سعد - رضي الله عنه - أنه سُئلَ عن جرح النبي - صلى الله عليه وسلم - يوم أحد فقال: جُرِحَ وجه النبي - صلى الله عليه وسلم - وكُسِرَت رباعيته، وهُشِمَت البيضة على رأسه، فكانت فاطمة رضي الله عنها تغسل الدم، وعليٌّ - رضي الله عنه - يمسك، فلما رأت الدم لا يرتد إلا كثرة أخذت حصيراً فأحرقته حتى صار رماداً، ثم ألزقته فاستمسك الدم.

ج. عن عائشة رضي الله عنها زوج النبي صلى الله عليه وسلم حدثته أنها قالت للنبي صلى الله عليه وسلم: ((هل أتى عليك يوم كان أشدّ من يوم أحد؟ قال: "لقد لقيت من قومك ما لقيت، وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة إذ عرضت نفسي على بن عبد ياليل بن عبد كُلال، فلم يُجبني إلى ما أردت، فانطلقتُ، وأنا مهموم على وجهي فلم أستفق إلا وأنا بقرن الثعالب فرفعت رأسي، فإذا أنا بسحابة قد أظلتني، فنظرت فإذا فيها جبريل"، فنادى فقال: ((إن الله قد سمع قول قومك لك، وما ردّوا عليك، وقد بعث الله إليك مَلَك الجبال لتأمره بما شئت فيهم، فناداني ملك الجبال فسلم علي ثم قال: ((يا محمد، فقال: ذلك فيما شئت، إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "بل أرجو أن يخرج الله مِن أصلابهم مَن يعبده وحده لا يشرك به شيئاً"

فانظر إلى صبر النبي صلى الله عليه وسلم وحلمه، الدم يسيل من عقبيه الشريفين، ويسأله ملَك الجبال إن كان يريد أن يطبق عليهم الأخشبين يفعل، ومع ذلك يتضرع إلى الله سبحانه، ويدعوه أن يخرج مِنْ أصلابهم مَنْ يعبده وحده، لا يشرك به.

➢ ثانياً: شجاعة النبي صلى الله عليه وسلم:

لاشك أن الشجاعة صبر في ساحات القتال والوغى، وفيها ضبط النفس عن مثيرات الخوف حتى لا يجبن الإنسان في المواضع التي تحسن فيها الشجاعة ويقبح فيها الجبن ويكون شرًا، ومن هذه الأمثلة يجد الإنسان أن النبي صلى الله عليه وسلم خير قدوة وخير مثال في ذلك؛ ولهذا جاهد في سبيل الله: بالقلب، واللسان، والسيف، والسنان، والدعوة والبيان، وقد أرسل ستًا وخمسين سرية، وقاد بنفسه سبعًا وعشرين غزوة، وقاتل بنفسه في تسع من غزواته.

❖ **الفرق بين الشجاعة والقوة:**

كثير من الناس تشتبه عليه الشجاعة بالقوة وهما متغايران، فإن الشجاعة هي ثبات القلب عند النوازل وإن كان ضعيف البطش.

وكان الصديق رضي الله عنه أشجع الأمة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان عمر وغيره أقوى منه، ولكن برز على الصحابة كلهم بثبات قلبه في كل موطن من المواطن التي تزلزل الجبال، وهو في ذلك ثابت القلب، ربيط الجأش، يلوذ به شجعان الصحابة وأبطالهم، فيثبتهم، ويشجعهم.

❖ **ومن صور شجاعته صلى الله عليه وسلم:**

١. **عن علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - قال: ((لقد رأَيْتُنَا يوم بدر، ونحن نلوذ برسول الله صلى الله عليه وسلم وهو أقربنا إلى العدو، وكان من أشد الناس يومئذ بأسا)).**

٢. **وعنه - رضي الله عنه - قال: «كنا إذا حمي البأس، ولقي القومُ القومَ اتقينا برسول الله صلى الله عليه وسلم فلا يكون أحدنا أدنى إلى القوم منه».**

٣. **عن أنس - رضي الله عنه - قال: «كان النبي صلى الله عليه وسلم أحسن الناس، وأجود الناس، وأشجع الناس، ولقد فزع أهل المدينة ذات ليلة، فانطلق الناس قِبَلَ الصوت، فاستقبلهم النبي صلى الله عليه وسلم قد سبق الناس إلى الصوت، وهو يقول: "لم تراعوا، لم تراعوا" وهو على فرس لأبي طلحة عري ما عليه سرج، في عنقه سيف، فقال: "لقد وجدته بحرًا، أو إنه لبحر» .**

٤. **قال العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه: لما التقى المسلمون والكفار - يعني في حنين - وولى المسلمون مدبرين، طفق الرسول صلى الله عليه وسلم يركض بغلته نحو الكفار، وأنا آخذ بلجامها أكفها لإرادة ألا تسرع، وكان يقول حينئذ: "أنا النبي لا كذب، أنا ابن عبد المطلب".**

➢ **ثالثاً: عفو النبي صلى الله عليه وسلم:**

كمال الإنسان أن يعفو عمن ظلمه، والعفو إنما يكون عند القدرة على الانتقام، فأنت تعفو مع قدرتك على الانتقام لأمور:

أ. رجاء لمغفرة الله عز وجل ورحمته فإن ممن عفا وأصلح فأجره على الله.

ب. لإصلاح الود بينك وبين صاحبك.

❖ **الفرق بين العفو والصفح:**

الصّفح والعفو متقاربان في المعنى، إلّا أنّ الصّفح أبلغ من العفو فقد يعفو الإنسان ولا يصفح، وصفحت عنه: أوليته صفحة جميلة.

❖ **ومن صور عفوه صلى الله عليه وسلم:**

١. **عفوه عن أبي سفيان الذي فعل ما فعل، وأدمى كبد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في أُحُد، وحزَّب الأحزاب يوم الخندق ضد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وناصر القبائلَ ضده، وعلى الرغم من كل ذلك يعفو عنه النبيُّ - صلى الله عليه وسلم - يوم فتح مكة، بل يمنُّ عليه بما يفخر به، وما كان يطمع في أكثر من أن يَهَب له حياته، ولا يضرب عنقه، جزاء ما آذى به المسلمين، ولكن الرسول الأكرم - صلى الله عليه وسلم - يمنحه العفوَ وزيادة؛ إذ يقول: ((من دخل دار أبي سفيان فهو آمِن)).**

٢. ويتجلَّى العفوُ عند المقدرة في أروع صوره يوم فتح مكة، حينما دخلها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - منتصرًا، وجلس في المسجد والناس حوله والعيون شاخصة إليه ينتظرون ما هو فاعل اليوم بمشركي قريش الذين آذَوْه وأخرجوه من بلده وقاتلوه، والآن هم أمامه لا ملجأ لهم ولا منجى؛ فتظهر مكارمُ أخلاقه، ويظهر عفوه؛ حيث قال - صلى الله عليه وسلم -: ((اذهبوا فأنتم الطُّلَقاء)) .

٣. عفوه - صلى الله عليه وسلم - عن لبيد بن الأعصم اليهودي الذي سَحَر النبيَّ - صلى الله عليه وسلم - فعفا عنه ولم يعاقبه، وإنما اكتفى - صلى الله عليه وسلم - بقوله: ((شفاني اللهُ، وكرهت أن أُثير شرًّا)) .

٤. وعفوه عن اليهودية التي أهدتْه الشاةَ المسمومة.

المحاضرة الثامنة

تابع صور من أخلاق النبي صلى الله عليه وسلم

➢ **رابعاً: تواضع النبي صلى الله عليه وسلم:**

١. لقد كانت سيرة الرسول - صلى الله عليه وسلم - العملية مثالاً حياً فذاً في التواضع، وخفض الجناح، ولين الجانب، وسماحة النفس، حتى إنه كان ليمر على الصبيان يلعبون، فلا تحجبه النبوة والمنزلة العظمى التي خصه الله بها من بين الناس جميعاً من أن يسلم على أولئك الصبيان، ويهش لهم، ويتبسط معهم.

فقد ذكر أنس رضي الله عنه أنه مر على الصبيان فسلم عليهم، وقال:((كان النبي - صلى الله عليه وسلم - يفعل ذلك)).

٢. ويروي أنس رضي الله عنه من تواضع النبي - صلى الله عليه وسلم - أن الأمة من إماء المدينة كانت تأخذ بيد النبي - صلى الله عليه وسلم - فتنطلق به حيث شاءت، يقضي لها حاجتها.

٣. ((لو دعيت إلى ذراع أو كراع لأجبت، ولو أهدي إلي ذراع أو كراع لقبلت)).

❖ **صور من أخلاق أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم**

حرص الصحابة رضوان الله عليهم على التزام آداب ومبادئ مهمة كان لها عظيم الأثر في حسن الحفظ وتمام الضبط وقدرتهم في تبليغ دعوة الله للناس، ومن هذه الآداب والأخلاق:

أولاً: الإنصات التام وحسن الاستماع:

فقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أجل في نفوس الصحابة وأعظم من أن يلغوا إذا تحدث، أو ينشغلوا عنه إذا تكلم، أو يرفعوا أصواتهم بحضرته، وإنما كانوا يلقون إليه أسماعهم ويشهدون عقولهم وقلوبهم، ويحفزون ذاكرتهم.

فعن علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - في الحديث عن سيرته صلى الله عليه وسلم في جلسائه قال: « ... وإذا تكلم أطرق جلساؤه، كأنما على رؤوسهم الطير، فإذا سكت تكلموا ... »

ثانياً: ترك التنازع وعدم مقاطعة المتحدث حتى يفرغ:

وهذا من تمام الأدب، المفضي إلى ارتياح جميع الجالسين، وإقبال بعضهم على بعض، والمعين على سهولة الفهم، والتعلم.

ففي حديث علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - قال: (لا يتنازعون عنده الحديث، من تكلم عنده أنصتوا له حتى يفرغ، حديثهم عنده حديث أولهم ..).

ثالثاً: ترك التنطع وعدم السؤال عن المتشابه:

وذلك تطبيقاً لتحذير النبي صلى الله عليه وسلم من ذلك وتشديده على المتنطّعين، نهيه عن مجالستهم.

فعن عائشة رضي الله عنها قالت: تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية: (هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُولُو الأَلْبَابِ) فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «فإذا رأيت الذين يتبعون ما تشابه منه فأولئك الذين سمى الله فاحذروهم»

رابعاً: يؤثرون على أنفسهم.

الإيثار: أن يقدم غيره على نفسه في النفع له والدفع عنه.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رجلاً أتى النبي صلى الله عليه وسلم، فبعث إلى نسائه فقلن: ما معنا إلا الماء، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من يضم أو يضيف هذا»، فقال رجل من الأنصار: أنا، فانطلق به إلى امرأته، فقال: أكرمي ضيف رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقالت: ما عندنا إلا قوت صبياني، فقال: هيئي طعامك، وأصبحي سراجك ونومي صبيانك إذا أرادوا عشاء، فهيأت طعامها، وأصبحت سراجها، ونومت صبيانها، ثم قامت كأنها تصلح سراجها فأطفأته، فجعلا يريانه أنهما يأكلان، فباتا طاويين فلما أصبح غدا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: «ضحك الله الليلة، أو عجب، من فعالكما» فأنزل الله: {ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون}.

خامساً: علو همتهم في طلب العلم:

الصحابة رضي الله عنهم قد ضربوا لنا أروع الأمثلة في الهمة العالية في طلب العلم، وإليك بعضًا من النماذج:

١. عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: يقولون: إن أبا هريرة يكثر الحديث، والله الموعد، ويقولون: ما للمهاجرين والأنصار لا يحدثون مثل أحاديثه؟ وإنَّ إخوتي من المهاجرين كان يشغلهم الصفق بالأسواق، وإن إخوتي من الأنصار كان يشغلهم عمل أموالهم، وكنت امرأ مسكينًا ألزم رسول الله صلى الله عليه وسلم على ملء بطني، فأحضر حين يغيبون، وأعي حين ينسون،

وقال النبي صلى الله عليه وسلم يوماً : ((لن يبسط أحد منكم ثوبه حتى أقضي مقالتي هذه، ثم يجمعه إلى صدره فينسى من مقالتي شيئًا أبدًا))، فبسطت نمرة ليس علي ثوب غيرها، حتى قضى النبي صلى الله عليه وسلم مقالته، ثم جمعتها إلى صدري، فو الذي بعثه بالحق، ما نسيت من مقالته تلك إلى يومي هذا، والله لولا آيتان في كتاب الله، ما حدَّثتكم شيئًا أبدًا : ((إن الذين يكتمون ... الرحيم)).

٢. عن ابن عباس رضي الله عنه قال: (لما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت لرجل من الأنصار: هلم فلنسأل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فإنهم اليوم كثير، فقال: واعجبًا لك يا ابن عباس! أترى الناس يفتقرون إليك وفي الناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من فيهم؟ قال: فتركت ذاك وأقبلت أسأل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وإن كان يبلغني الحديث عن الرجل فآتي بابه وهو قائل فأتوسد ردائي على بابه يسفي الريح علي من التراب، فيخرج فيراني فيقول: يا ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ما جاء بك؟ هلّا أرسلت إليّ فآتيك؟ فأقول: لا، أنا أحقُّ أن آتيك، قال: فأسأله عن الحديث، فعاش هذا الرجل الأنصاري حتى رآني وقد اجتمع الناس حولي يسألوني، فيقول: هذا الفتى كان أعقل مني).

سادساً: القناعة والرضا باليسير:

لقد سار صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم، على ما كان عليه واتبعوا آثاره، وتخلقوا بأخلاقه، وعاشوا التقشف والزهد في أول أمرهم نظراً لقلة ذات اليد، ثم انتشر الإسلام وجاءتهم الغنائم وفتح الله عليهم، فلم تؤثر هذه الأموال التي اكتسبوها من الغنائم على زهدهم، بل استمروا على ما هم فيه من قناعة وتقشف، وهنا نذكر بعض النماذج من قناعة الصحابة وبعدهم عن الطمع:

١. عن عائشة قالت: (من حدثكم أنا كنا نشبع من التمر فقد كذبكم فلما افتتح صلى الله عليه وسلم قريظة أصبنا شيئاً من التمر والودك).

٢. عن أبي هريرة، قال: (لقد رأيت سبعين من أصحاب الصفة ما منهم رجلٌ عليه رداءٌ، إما إزارٌ وإما كساءٌ، قد ربطوا في أعناقهم، فمنها ما يبلغ نصف الساقين، ومنها ما يبلغ الكعبين، فيجمعه بيده، كراهية أن ترى عورته).

سابعاً: تعاملهم مع الغضب:

١. **روي أن رجلاً قال لعمر: إنك لا تقضي بالعدل، ولا تعطي الحق. فغضب واحمر وجهه، قيل له: يا أمير المؤمنين، ألم تسمع أن الله يقول: خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين وهذا جاهل، فقال: صدقت، فكأنما كان ناراً فأطفئت.**

٢. **أسمع رجل أبا الدرداء - رضي الله عنه- كلاما ، فقال: يا هذا لا تغرقن في سبنا ودع للصلح موضعا فإنا لا نكافئ من عصى الله فينا بأكثر من أن نطيع الله فيه.**

المحاضرة التاسعة

تعريف المهنة، وذكر الألفاظ القريبة والمرادفة لها.

- **تعريف المهنة:**

- **لغة**: الحذق بالخدمة والعمل. يقال: كان في مهنة أهله، أي: في خدمتهم. وخرج في ثياب مهنته، أي: في ثياب خدمته التي يلبسها في أشغاله وتصرفاته.

- **وقد خُصِّصت في الاصطلاح المعاصر**: بمجموعة الأعمال والمهارات التي يقوم بها الفرد، مرتبطة بنظام معرفي أكاديمي متخصص، ونظام مهاري سلوكي.

أو: هي عملٌ راقٍ يجمع بين المعرفة الأكاديمية المتخصصة، والخبرة التطبيقية لها في الميدان. كالطب، والهندسة، والتدريس، والمحاسبة، والقضاء.

- **الألفاظ القريبة والمرادفة لمعنى المهنة:**

هناك ألفاظ قريبة أو مرادفة لمعنى المهنة، اذكر منها:

الحرفة: وتطلق في العرف المعاصر على الأعمال اليدوية التي تحتاج إلى تدريب قصير، سواءٌ أكان العمل بآلة أم بغير آلة.

الوظيفة: كيان نظامي يتضمن مجموعة من الواجبات والمسؤوليات توجب على شاغلها التزامات معينة، مقابل تمتعه بالحقوق والمزايا الوظيفية.

العمل: ما يقوم به الإنسان من نشاط إنتاجي في وظيفة أو مهنة أو حرفة.

- **فكل جهد وعمل مادي أو معنوي أو مؤلف منهما معاً يعد عملاً في نظر الإسلام، فعامل المصنع ومديره، والموظف في الدولة، والتاجر، وصاحب الأرض، والطبيب، والمهندس، كل هؤلاء عمال.**

- **والذي يظهر أن هناك فرقاً بين العمل والمهنة فكل مهنة عمل وليس كل عمل مهنة؛ لأن المهنة تقتضي الإتقان والمعرفة الدقيقة بخلاف العمل ، فقد يعمل الإنسان في عمل لا يتقنه فلا يمكن أن نسميه ممتهناً له حتى يتقنه إلا أن يتجوَّز في ذلك .**

- **أهمية العمل في الإسلام:**

من أهم الأمور التي توضح أهمية العمل في الإسلام ما يأتي:

١. **أن الله تعالى امتن على عباده بأن جعل لهم الأرض مذللة ومنبسطة؛ ليستفيد من فيها بما فيها ويعملوا ليحصلوا الكفاية.**

قال الله - سبحانه وتعالى: ((هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ ۖ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ)).

٢. **أن الله قصّ علينا في كتابه الكريم أحوال الأنبياء عليهم السلام الذين كانوا يحرصون على طلب الرزق والعمل، من أجل كسب الحاجات الأساسية، ومن أمثلة ذلك:**

أ. موسى عليه الصلاة والسلام الذي رعى الغنم على رجل مدين، فقال الله - سبحانه وتعالى : ((قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَىٰ أَن تَأْجُرَنِي ثَمَانِيَ حِجَجٍ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِندِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ)).

ب. كذلك نبي الله داود عليه الصلاة والسلام الذي كان يعمل صانعاً للدروع من أجل بيعها. فقال الله - سبحانه وتعالى - عنه: ((وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّن بَأْسِكُمْ ۖ فَهَلْ أَنتُمْ شَاكِرُونَ)).

وفيه إشارة إلى أن كل أحد لا ينبغي أن يتكبّر عن كسب يده؛ لأن نبي الله مع علو درجته اختار هذه الحرفة ، فلو كان الرزق يتأتى بدون عمل لجلس هؤلاء الأنبياء عليهم السلام، وأتاهم رزقهم وهم في بيوتهم.

ج. رسولنا محمد - صلى الله عليه وسلم - الذي عرف أهمية العمل منذ صغره فعمل راعياً للأغنام عند مشركي مكة، وكذلك عاملاً في التجارة مع خديجة بنت خويلد - رضي الله عنها- .

٣. أن الله تعالى حث على السعي والعمل، وابتغاء الرزق، ألا ترى إلى قوله تعالى لمريم: ((وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا)).

لو شاء لأسقط عليها الرطب من غير هز الجذع؛ ولكنه تعالى أراد أن يجعل لكل شيء سبباً: فجعل سبب الرزق: السعي والدأب.

٤. إن طرق كسب المال كثيرة كالوراثة والهبة والصدقة؛ وكالاشتغال في عمل حكومي يتقاضى في نظيره أجراً؛ وكالتجارة والزراعة والصناعة، وقد بين الرسول صلى الله عليه وسلم أن خير طعام يأكله المرء ما كان من عمل يده، فالذي يشتغل بيده، ويكدح ببدنه ويستجدي الرزق من عرق جبينه ويأكل من إنتاجه خير ممن يأكل من تركة موروثة، أو هبة مبذولة، أو صدقة تعطى له.

فعن المقدام رضي الله عنه عن النّبي صلى الله عليه وسلم قال: ((ما أكل أحد طعاماً قطّ خيراً من أن يأكل من عمل يده، وإنّ نبيّ الله داود عليه السّلام كان يأكل من عمل يده».

لقد ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نبي الله داود عليه السلام كان يأكل من عمل يده إذ كان يصنع الدروع الحربية، وقد سخر الله له الجبال والطير والحديد، ومع ذلك لم يستنكف من العمل بيده.

ثم إن الحكمة في تخصيص داود بالذكر كما ذكر بعض العلماء هي: أن اقتصاره في أكله على ما يعمله بيده لم يكن من الحاجة لأنه كان خليفة في الأرض -كما قال الله تعالى- وإنما ابتغى الأكل من طريق الأفضل.

- ➢ شروط العمل في الإسلام:

- ❖ الشرط الأول: أن يكون العمل مشروعا:

يجب أن يكون العمل بذاته والهدف منه غير محرم شرعاً، فالطيب الحلال هو الأساس الذي يقوم عليه طلب الرزق.

- قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ}، وقال تعالى: {يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ}.
- ولأن الكسب المباح هو الذي يبارك للإنسان فيه، قال صلى الله عليه وسلم: (من يأخذ مالاً بحقِّه يبارَك له فيه، ومن يأخذ مالاً بغير حقه فمثله كمثل الذي يأكل ولا يشبع).
- فبناء على ما سبق يحرم ما يأتي:
- أ. التعامل بالربا؛ لأنه محرم لقوله سبحانه: {يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا}، وعن جابر ﷺ قال: ((لَعَنَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ آكِلَ الرِّبَا وَمُوكِلَهُ وَكَاتِبَهُ وَشَاهِدَيْهِ وَقَالَ هُمْ سَوَاءٌ)).
- ب. اكتساب المال بالغش؛ كالتطفيف في الكيل ونحوه، قال سبحانه: {وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ. الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُواْ عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ. وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ} .
- ج. كما أنَّ الإسلام حرَّم كلَّ عملٍ من شأنه إهلاكُ العامل أو إلحاق الضرر به، وذلك وفق قاعدة" لا ضرر ولا ضرار".

- ويمكن أن تكون الوظيفة مشتملةً على الحلال والحرام، من خلال رأس مالها، أو بعض أنشطتها، وفي هذه الحالة تكون مشتبهة، والعمل فيها مكروه، لقوله صلى الله عليه وسلم: (إن الحلال بيِّن وإن الحرام بيِّن، وبينهما مشتبهات لا يعلمهن كثيرٌ من الناس، فمن اتقى الشبهات استبرأ لدينه وعرضه، ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام، كالراعي يرعى حول الحِمى يوشك أن يرتع فيه، ألا وإن لكل ملك حمى، ألا وإن حمى الله محارمه).

- ***وخلاصة آراء الفُقَهاء في مشروعيَّة العمل والكسب الحلال: أنَّ عمل المسلم وكسبه يجب أنْ يكونَا من وجهٍ مشروع، فعلى المسلم أنْ يتحرَّى وجوه العمل والكسب قبل الإقدام عليها، فإنْ وجدَه عملاً حَلالاً طيبًا عمل فيه، وإنْ كان عملاً مشبوهًا أو غلب عليه الحرام فعليه اجتنابه.***

❖ **الشرط الثاني: إبرام عقدٍ للعمل:**

- شرع الإسلام إبرامَ عقدٍ للعمل بين العامل وربِّ العمل، يتمُّ الاتِّفاق فيه على أمورٍ مهمَّة جدًّا، تَضمَن تحقيق العدل بين طرفي العقد، واجتناب التنازُع والخصام بينهما، وهي:

- أ -بيان نوع العمل وحجمه.

- ب -بيان المدَّة أو الزمن المشروط للعمل.

- ج -تحديد أجرة العمل .

- والحكمة من الأمر بالوفاء بالعقد هنا ترجع إلى أنَّ العقد شريعة المتعاقِدين فيما لا يُخالِف الشرع، فهو الضابط الذي يَحكُم العلاقة بين الطرفين، ويجعَلُها تسير في طريقٍ مأمون العثار، وهو الذي يحدِّد حقوق وواجبات كلٍّ منهما تحديدًا واضحًا، فتبقى العلاقة بينهما في إطارها الأخلاقي الصحيح.

❖ **الشرط الثالث: ألا تستلزم خلوةً بين الرجل والمرأة:**

- حرصاً من الشريعة الإسلامية على الحفاظ على الأعراض والأنساب والعفاف شُرِع غضّ البصر، وعدم سفر المرأة وحدها دون محرم، وعدم تبرُّج المرأة أمام الرجال، وعدم الخلوة بين الرجل والمرأة، لقوله عليه السلام (لا يخلونّ رجلٌ بامرأة إلا كان ثالثهما الشيطان).

- وسبب هذا أن الخلوة وسيلةٌ للاتصال المحرم بينهما، والوسائل لها أحكام المقاصد والغايات.

- وأماكن العمل من المظانّ التي يكثر فيها الاختلاط بين الجنسين كالمستشفيات، لذا فإن المسلم يحرص على التورُّع عن الخلوة المحرَّمة منعاً للفتنة، وسدّاً للذريعة، وحفاظاً على العفة والسُّمعة، ودرءاً لإساءة الظن.

❖ **الشرط الرابع: إسناد العمل إلى مَن تَتوافَر فيه الكفاية له:**

- يوجِّه الإسلام إلى عدَم إسناد العمل إلا لِمَن تتوافَر فيه الأهليَّة والكفاءة لهذا العمل.

- يقول - تعالى - على لسان يوسف - عليه السلام :- (اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ) [يوسف: ٥٥]، فعبَّر بقوله: "إني حفيظ عليم" عن توافر الكفاءة فيه لتولِّي خزائن أرض ملك مصر.

- ويقول - سبحانه - على لسان ابنة الرجل الصالح شعيب حين طلبت من أبيها استِئجار نبيِّ الله موسى - عليه السلام :- (يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ) [القصص: ٢٦]، فعبَّرت بقولها: " القوي الأمين " عن توافر الكفاءة فيه للعمل عند أبيها في رعي الماشية والقيام على شؤونها.

- ولَمَّا طلب أبو ذرٍّ - رضِي الله عنه - من النبي - صلَّى الله عليه وسلَّم - أنْ يستعمِلَه في الولاية ضرَب بيده على منكبه ثم قال: ((يا أبا ذرٍّ، إنَّك ضعيف، وإنها أمانة، وإنها يوم القيامة خزيٌ وندامة، إلاَّ مَن أخَذَها بحقِّها وأدَّى الذي عليه فيها)).

المحاضرة العاشرة

الأخلاق المهنية المحمودة: الأمانة المهنية، العدل المهني

➢ الأخلاق المهنية:

- المسلم مؤتمن على مهنته، وواجب عليه أن يؤدي حقها ويراعي واجباتها؛ لأن النفس البشرية يعتريها الخطأ والوقوع في الزلل والانحراف عن الطريق المستقيم، ولذلك حذرنا الله عز وجل من الوقوع في مزالق الانحراف واتباع الهوى والضلالة.
- إن الأخلاق المهنية جزء من الأخلاق الإسلامية العامة، لذا فإن من ينسجم مع الأخلاق الإسلامية أو يتعارض معها فهو كذلك مع الأخلاق المهنية.
- كما أن الأخلاق المهنية في العالم بشكل عام تطابق الأخلاق المهنية المتوافقة مع الأخلاق الإسلامية؛ وذلك أن العقل البشري السليم يهدي إلى الحق إذا تجرد.

يمكن تقسيم الأخلاق المهنية إلى قسمين: أخلاق مهنية محمودة، وأخلاق مهنية مذمومة.

❖ الأخلاق المهنية المحمودة:

الخلق الحميد: هو السلوك القويم الذي يجب أن يتصف به المسلم في حياته وتعامله مع نفسه ومع غيره، والأخلاق الحميدة ضرورة لسعادة الشعوب وازدهارها وقيام الدول وبقائها فركز الإسلام على غرسها في نفوس أبنائه، وبالبحث في أهم الأخلاق المهنية المحمودة يمكن أن نبسط القول في أهمها كما يأتي:

➢ الخلق الأول: الأمانة المهنية:

تعريف الأمانة لغة: ضد الخيانة، وأصل الأَمْن: طمأنينة النفس وزوال الخوف.

وفي الاصطلاح: التَّعفُّف عمَّا يتصرَّف الإنسان فيه مِن مالٍ وغيره، وما يوثق به عليه مِن الأعراض والحرم مع القدرة عليه، وردُّ ما يستودع إلى مودعه.

قال القرطبي رحمه الله: "الأمانة والعهد يجمع كل ما يحمله الإنسان من أمر دينه ودنياه قولاً وفعلاً، وهذا يعم معاشرة الناس والمواعيد وغير ذلك، وغاية ذلك حفظه والقيام به. والأمانة أعم من العهد، وكل عهد فهو أمانة فيما تقدم فيه قول أو فعل أو معتقد.

وقد ظهر من تعريف الأمانة أنّها تشتمل على ثلاثة عناصر:

الأوّل: عفّة الأمين عمّا ليس له به حقّ.

الثّاني: تأدية الأمين ما يجب عليه من حقّ لغيره.

الثّالث: اهتمام الأمين بحفظ ما استؤمن عليه، وعدم التّفريط بها والتّهاون بشأنها.

- **أدلة الأمانة المهنية:**

يدل لخلق الأمانة المهنية آيات عديدة من كتاب الله وأحاديث نبوية كثيرة منها:

١. **قوله تعالى: ((إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤدُّواْ الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُواْ بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعاً بَصِيراً)).**

أمر الله عباده بأداء الأمانة كاملة موفرة، لا منقوصة ولا مبخوسة، ويدخل في ذلك أمانات الولايات والأموال والأسرار؛ والمأمورات التي لا يطلع عليها إلا الله.

٢. قوله تعالى: ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ)).

فهذه الآيات تأمر بالحفاظ على الأمانات وأدائها على وجهها المطلوب، والأمانة المهنية جزء منها.

٣. قال النبي صلى الله عليه وسلم: (أد الأمانة إلى من ائتمنك ولا تخن من خانك).

يعني وإن خانك أخوك المسلم فلا تخنه، فلو فرضنا أن شخصاً خانك في مال؛ بان أقرضته مالاً أي سلفته، ثم أنكر بعد ذلك وقال: لم تقرضني شيئاً؛ فإنه لا يحل لكل أن تخونه فتقترض منه ثم تنكره، بل أد إليه أمانته وأسال الله الحق الذي لك.

٤. وقال أيضاً : (مَنْ حَدَّثَ فِي مَجْلِسٍ بِحَدِيثٍ فَالْتَفَتَ فَهِيَ أَمَانَةٌ).

يعني إذا حدث أحد عندك حديثاً ثم غاب صار حديثه أمانة عندك ولا يجوز إضاعتها.

- **المجالات الّتي تدخل فيها الأمانة المهنية:**

الأمانة المالية، والأمانة العلمية، والأمانة في أداء العمل، والأمانة في المحافظة على الأسرار، وغير ذلك، وسنسلط الضوء على هنا على الأمانة المالية:

- **الأمانة المالية:**

المال العام من أسباب قوة البلاد وعزها، وهو عماد الدولة وعصبها، وهو من القوة المشار إليها في قوله تعالى: ((وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ)).

ولهذا كان للمال العام حرمة كبيرة توجب على الفرد الحفاظ عليه وعدم المساس به أو التعدي عليه بأي شكل من الأشكال ، فإن فعل ذلك كان على خطر عظيم في دينه ودنياه ،فالواجب شرعاً ونظاماً هو حراسة المال العام وصونه من الضياع أو إفساد المفسدين من العابثين ، ولا يقتصر الأمر على ذلك، بل يتعداه إلى وجوب تنميته وتكثيره.

- **بعض صور التعدي على المال العام:**

أولاً : سرقة المال العام.

إن كل أمانة عند غيرك تقابلها أمانة عندك، فإن أديت مطلوبات الأمانة عندك أدى المجتمع الذي يحيط بك الأمانة التي عنده، وهكذا تكون الأمانة هي: أداء حق في ذمتك لغيرك.

فحين يكلفك الله بألا تسرق، يكون قد كلف الناس كلهم ألا يسرقوك.

السرقة هي: أخذ مال محترم لغيره وإخراجه من حرز مثله لا شبهة فيه على وجه الاختفاء.

والسرقة بكل صورها محرمة؛ ودليل ذلك من القرآن الكريم قول الله تبارك وتعالى : "والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا نكالاً من الله والله عزيز حكيم "، ويقول النبي صلى الله عليه وسلم : ((لعن الله السارق يسرق البيضة فتقطع يده ، ويسرق الحبل فتقطع يده)).

ومما يجب التأكيد عليه أن السرقة من المال العام حرام، يستحق آخذه التعزير عند جمهور العلماء.

والتعزير: عقوبة غير مقدرة شرعاً، يرجع تقديرها إلى الحاكم.

ولا يُعد ذلك سرقة -بمعنى أنه لا تقطع يد فاعله- لماذا؟

لأن له في المال العام شبهة ملك، وهذا لا ينفي عنه الإثم والعقوبة التعزيرية .

ثانياً: الاختلاس:

ويقصد بالاختلاس :استيلاء العاملين والموظفين ومن في حكمهم في مكان عملهم على ما بأيديهم من أموال ونحوها سواء كانت نقدية أو عينية بدون سند شرعي .

وهو صورة من صور السرقة التي ينطبق عليها أكل أموال الناس بالباطل، ويطبق عليها عقوبة التعزير.

يفرق بين السرقة والاختلاس: أن السارق يعتمد على الخفية، والمختلس يعتمد على المجاهر، فنجد أحياناً أن المختلس هو نفسه الموظف المؤتمن.

ثالثًا : خيانة الأمانة:

يقصد بخيانة الأمانة في مجال المال العام: استيلاء العاملين والموظفين وما في حكمهم في أماكن عملهم على الأمانات والعهد المسلمة إليهم بحكم مناصبهم في العمل ، أو المشاركة أو المساعدة في ذلك .

وأصل ذلك من الكتاب قول الله تبارك وتعالى: ((فإن أمن بعضكم بعضاً فليؤد الذي أؤتمن أمانته)).

وقوله تعالى: قوله تعالى: ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ)).

ومن صور خيانة الأمانة في مجال المال العام ما يلي:

أ - تعيين من هم دون الكفاءة أو يفتقدون القيم والأخلاق والخبرة بسبب المحسوبية .

ب - استخدام أدوات العمل لأغراض شخصية.

مثال ذلك: استخدام سيارات الجهات الحكومية للخروج مع الأسرة في نزهة، واستخدام وسائل الاتصال لاتصالات شخصية ، واستخدام مطبوعات وأدوات وأجهزة العمل لأغراض شخصية، ويعتبر ذلك من قبيل خيانة الأمانة .

سئل الشيخ محمد بن عثيمين –رحمه الله - : ما حكم استعمال بعض الأغراض الحكومية الصغيرة بالمكتب استعمالاً شخصياً كالقلم، والظرف، والمسطرة ونحو ذلك للموظف. جزاكم الله خيراً؟

فأجاب :استعمال الأدوات الحكومية التي تكون في المكاتب لأعمال خاصة، حرام؛ لأن ذلك مخالف للأمانة التي أوجب الله المحافظة عليها إلا بالشيء الذي لا يضر كاستعمال المسطرة فهو لا يؤثر ولا يضر، أما استعمال القلم، والأوراق، وآلة التصوير فإن استعمالها للأغراض الخاصة وهي حكومية لا يجوز .اهـ .

وسئل الشيخ عبدالله بن جبرين –رحمه الله - هل يجوز للمسلم الموظف في دائرة حكومية أن يستخدم سيارة العمل في أغراضه الشخصية علماً أن لديه سيارة يملكها؟

فأجاب: الموظف عند الدولة يعتبر كالعامل بالأجرة فهو مؤتمن على ذلك العمل الذي أنيط به وفوض إليه، ومؤتمن على ما أعطيه من الأدوات والآلات التي يتم بها العمل الذي فوض إليه فلا يستعمل شيئاً منها إلا في العمل الحكومي أو ما يتعلق به فلا يركب السيارة المذكورة في حاجاته الشخصية، ولا يستخدم الهاتف ونحوه في مصلحة خاصة، وكذا الدفاتر والأوراق والأقلام ونحوه، فيتورع عنها ولا يستعملها لنفسه، وقد قال تعالى: ((والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون)).

د -الحصول على عمولة من المشترى أو من المورد أو ممن في حكمهم نظير تسهيل بعض الأمور بدون علم المالك ففي ذلك خيانة للأمانة .

ه_ تسريب المعلومات السرية ونحوها.

➢ الخلق الثاني: العدل المهني:

واصطلاحاً: الأمر المتوسط بين طرفي الإفراط والتفريط.

العدل: أساس الملك، وأمر تقتضيه الحضارة والعمران والتقدم، وتشيد به كل العقول، وأصل من أصول الحكم في الإسلام، ولا بد للمجتمع منه حتى يأخذ الضعيف حقه، ولا يبغي القوي على الضعيف، ويستتب الأمن والنظام، وأجمعت الشرائع السماوية على وجوب إقامة العدل، فعلى أصحاب المهن التزام العدل، حتى تصل الحقوق لأهلها.

ورد عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال: لأبي موسى الأشعري، حين ولاه القضاء: "آس بين الناس في وجهك وعدلك، حتى لا يطمع شريف في جورك، ولا ييأس ضعيف من عدلك".

▪ صور العدل في المهنة:

للعدل في المهنة عدة صور، منها:

١. إسناد الأعمال الإدارية للأكفاء الأمناء ، ليطبقوا العدل في إداراتهم.

٢. توضيح حقوق وواجبات كل موظف ؛ لأن بعض المسؤولين لا يوضِّح للموظف هذه الواجبات ثم يؤاخذه على عدم تطبيقها ، وهذا ليس من العدل.

٣. المساواة بين الموظفين المتساوين في الدرجة والخبرة في المعاملة ، والحقوق ، دون تمييز بينهم غيرَ مبرر ، فإن العدل يقتضي المساواة بين المتماثلين.

٤. تقديم من سبق في عرض مشروع ، أو في تقديم طلب مقابلة مسؤول ، أو طلب إنجاز معاملةٍ ما ، فالعدل في ذلك كله أن يقدَّم الأسبق ؛ لأنه منهج القرآن والسنة، فالقرآن الكريم قدَّم السابقين على أصحاب اليمين ، والنبي صلى الله عليه وسلم كان يحثّ الصحابة على المسابقة على الخير ، فمن سبق وُعِد بالثواب.

٥. بذل النصيحة لمن يحتاجها من الرؤساء أو المرؤوسين أو زملاء العمل أو المراجعين، فعن عن أبي رقية تميم بن أوس الداري - رضي الله تعالى عنه - أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "الدين النصيحة"، قلنا: لمن؟ قال: "لله، ولكتابه، ولرسوله، ولأئمة المسلمين، وعامتهم".

ما معنى النصيحة لأئمة المسلمين وعامتهم؟

يقول ابن دقيق العيد – رحمه الله – "أما النصيحة لأئمة المسلمين: فمعاونتهم على الحق، وطاعتهم وتنبيههم وتذكيرهم برفق ولطف، وإعلامهم بما غفلوا عنه، وتبليغهم من حقوق المسلمين، وترك الخروج عليهم بالسيف، وتأليف قلوب الناس لطاعتهم والصلاة خلفهم والجهاد معهم، وأن يدعو لهم بالصلاح.

وأما نصيحة عامة المسلمين، فإرشادهم لمصالحهم في آخرتهم ودنياهم، وإعانتهم عليها، وستر عوراتهم وسد خلاتهم، ودفع المضار عنهم وجلب المنافع لهم، وأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر برفق وإخلاص، والشفقة عليهم، وتوقير كبيرهم ورحمة صغيرهم، وتخولهم بالموعظة الحسنة وترك غشهم وحسدهم، وأن يحب لهم ما يحب لنفسه من الخير ويكره لهم ما يكره لنفسه من المكروه، والذب عن أموالهم وأعراضهم وغير ذلك من أحوالهم بالقول والفعل."